

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة  
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية  
قسم العلوم الاجتماعية

محاضرات في المدخل إلى الفلسفة

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية

د. مهتور حملوي

السنة الجامعية 2026/2025

## فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان	الرقم
02	مقدمة	01
04	المحاضرة الأولى الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية	02
16	المحاضرة الثانية خصائص التفكير الفلسفي	03
21	المحاضرة الثالثة المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي	04
24	المحاضرة الرابعة الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري	05
28	المحاضرة الخامسة الفلسفة كتفكير منهجي عقلاني	06
33	المحاضرة السادسة الفلسفة والثقافة والطبيعة	07
38	المحاضرة السابعة الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية	08
42	المحاضرة الثامنة التفكير الفلسفي والتفكير العلمي	09
46	المحاضرة التاسعة دور الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني	10
55	المحاضرة العاشرة العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم.	11
63	المحاضرة الحادية عشر الفلسفة والحضارة	12

71	المحاضرة الثانية عشر الفلسفة والتربية	13
79	المحاضرة الثالثة عشر الفلسفة وترشيد الفعل السياسي. دور الفلسفة في تكوين المجتمع المدني	14
84	المحاضرة الرابعة عشر الفلسفة والمواطنة الفلسفة وحقوق الإنسان	15
91	المحاضرة الخامسة عشر رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلام	16
101	خاتمة	17
102	قائمة المراجع	18

برنامج مقياس "مدخل إلى الفلسفة"

1- الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية

2- خصائص التفكير الفلسفي

3- المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي

4- الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري

5- الفلسفة كتفكير منهجي عقلائي

6- الفلسفة والثقافة والطبيعة

7- الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية

8- التفكير الفلسفي والتفكير العلمي

9- دور الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني

10- العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم

11- الفلسفة والحضارة

12- الفلسفة والتربية

13- الفلسفة وترشيد الفعل السياسي. دور الفلسفة في تكوين المجتمع

المدني

14- الفلسفة والمواطنة الفلسفة وحقوق الإنسان

15- رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية

## مقدمة:

منذ أن وجد الإنسان نفسه في هذا العالم، وهو يعيش حالة دائمة من التساؤل والانشغال بما يحيط به: من هو؟ ولماذا وجد؟ وما معنى الحياة والموت، والكون والزمن؟ لقد كان هذا القلق الوجودي، والسعي الحثيث نحو الفهم، هو التربة الخصبة التي نبتت فيها الفلسفة كاستجابة إنسانية أصيلة، تُعبّر عن حاجته إلى تجاوز الظواهر، وسبر أغوار المعنى. فالفلسفة لم تكن يومًا ترفًا فكريًا أو حكرًا على النخب، بل كانت وما تزال حاضرة في كل تجربة إنسانية عميقة، تلامس جوهر الوعي، وترافق الإنسان في لحظات التأمل والحيرة، كما في مواجهته لتحديات الواقع.

وتأتي هذه المطبوعة البيداغوجية؛ لتسليط الضوء على دور الفلسفة الحيوي في بناء الوعي الفكري والثقافي في الإنسان والمجتمع، عبر تناول شامل لمفاهيمها الأساسية، ومسارات تطورها، وعلاقتها المتشابكة مع مختلف مجالات الحياة. وتستمد هذه المطبوعة أهميتها بشكل خاص من كونها موجهة إلى طلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم اجتماعية، في مرحلة تأسيسية من مسارهم الجامعي، حيث يُنتظر من الفلسفة أن تفتح أمامهم أفقًا جديدًا لفهم الذات والواقع، وتُنمّي فيهم مهارات التفكير النقدي والتحليل المنهجي الضروريين لمجالات تخصّصهم المستقبلية في العلوم الاجتماعية.

وتبدأ المطبوعة بتعريف الفلسفة من دلالتها الاشتقاقية وصولاً إلى دلالاتها الاصطلاحية، لتضع بذلك القارئ في قلب الموضوع، وتمهّد لفهم خصائص التفكير الفلسفي التي تميّزه عن باقي أنواع التفكير، خصوصاً من خلال تسليط الضوء على المباحث الأساسية التي تحكمه.

وتتناول المطبوعة أهمية الفلسفة في تجاوز التفكير الأسطوري، عبر اعتمادها منهجًا عقلانيًا ومنهجيًا يُمكن الإنسان من فهم العالم والذات بطريقة موضوعية ومنطقية. كما تتوسع في استكشاف العلاقة بين الفلسفة والثقافة والطبيعة، وتناقش الفروق والتداخلات بين الحقيقة الدينية، والحقيقة الفلسفية إضافة إلى التفاعل، والتكامل بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي.

ولا تقتصر المطبوعة على الجانب النظري، بل تتناول أيضًا الدور الفعلي للفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني، كما تؤكد على العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم. وتنتقل إلى استعراض

مكانة الفلسفة في تشكيل الحضارة، وأثرها في التربية وترشيد الفعل السياسي، مع التركيز على دورها في تكوين المجتمع المدني، وترسيخ قيم المواطنة، وحقوق الإنسان.

وفي ظل ما تشهده المجتمعات العربية والإسلامية من تحديات معقدة ومتداخلة، تتجلى الحاجة الماسة إلى استحضار الفلسفة المعاصرة بوصفها فضاءً للتفكير النقدي وإعادة بناء الوعي. فالفلسفة، بما تتيحه من أدوات تحليلية وتأملية، تمثل رهاناً أساسياً لتجديد الفكر وإعادة صياغة العلاقة بين الإنسان والواقع بين التراث والمعاصرة، وبين الهوية والانفتاح.

وتأتي هذه المطبوعة لتسهم في هذا المسعى، من خلال تقديم مرجع معرفي متكامل يهدف إلى تمكين الطلاب والمهتمين من توظيف الفلسفة في قراءة الواقع وفهمه بعمق، ومن ثم الإسهام في تحويله نحو مستقبل أكثر وعياً وعدلاً وإنسانية.



## المحاضرة الأولى

### الفلسفة من الدلالة الاشتقاقية إلى الدلالات الاصطلاحية

تمهيد:

تعتبر الفلسفة من أقدم أنماط التفكير البشري، نشأت من الدهشة والرغبة في فهم الوجود والمعرفة والقيم. ورغم انتشار الكلمة، فقد ظل معناها غامضاً عبر العصور، إذ بدأت بمعنى لغوي بسيط "حب الحكمة"، ثم تطورت إلى نسق معرفي معقد يشمل تحليل المفاهيم ونقد المسلمات، وبناء أنظمة فكرية ولذلك فمن الضروري فهم جذورها اللغوية والاشتقاقية؛ لفهم تعدد معانيها الاصطلاحية عبر التاريخ.

أولاً: الدلالة الاشتقاقية (اللغوية) للفلسفة

أ- الأصل اليوناني:

كلمة فلسفة بالإنجليزية (philosophy)، من الكلمة اليونانية (philosophía) (φίλοσοφία) وتتكون من مقطعين: φίλος (philos) وتعني "محب" أو "صديق" و σοφία (sophía) وتعني "حكمة"، وبذلك يكون المعنى الحرفي هو "حب الحكمة" أو "العاشق للحكمة"<sup>1</sup>.

ويعكس هذا التعريف روح السعي إلى المعرفة من منطلق الشغف والتساؤل، لا من موقع التملك أو الادعاء. إن الفيلسوف، في هذا المعنى ليس من يملك الحقيقة، بل من يطلبها بمحبة وتواضع.

ب- دخول كلمة فلسفة إلى اللغة العربية

دخل مصطلح "فلسفة" إلى اللغة العربية خلال حركة الترجمة الكبرى في العصر العباسي، والتي بلغت ذروتها في عهد الخليفة المأمون داخل بيت الحكمة، حيث تُرجمت النصوص اليونانية إلى العربية<sup>2</sup>، وعمل المترجمون والعلماء من خلفيات ثقافية ودينية متعددة - كالسريان والفرس والعرب - على نقل التراث اليوناني إلى العربية، بما في ذلك أعمال أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين، وغيرهم.

<sup>1</sup>-Juan Pablo Espínola, Etymology of the word "Philosophy", Translated by: Marilina

Garyhttps://humanidades.com/en/etymology-of-the-word-philosophy/?utm.

تاريخ الإطلاع: 2025/08/25

https://arab-ency.com.sy/details/4990?utm

<sup>2</sup>- الترجمة عند العرب (حركة- ) على الموقع:

تاريخ الاطلاع: 2025/08/25

ومع ترجمة تلك النصوص، لم تُنقل المفاهيم الفلسفية فحسب، بل جرى تكييفها ضمن الإطار الثقافي الإسلامي، ما أفرز حركة فكرية عميقة أطلق عليها لاحقاً اسم الفلسفة الإسلامية، وقد أبدع الفلاسفة المسلمون - مثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد - في تطوير المفاهيم الفلسفية اليونانية، ودمجها مع المعطى الديني والعقلي في آن واحد.

ولذلك يمكن القول أن دخول مصطلح "فلسفة" إلى العربية مجرد نقل لغوي، بل كان تحولاً معرفياً أسهم في إثراء الفكر الإنساني، وأرسى أسس الحوار بين الثقافات، وأثبت قدرة اللغة العربية على احتضان المفاهيم العقلية الكبرى وصياغتها بأسلوب أصيل ومبدع.

### ثانياً: الدلالات الاصطلاحية للفلسفة

أ- مفهوم الفلسفة في القديم (عند فلاسفة اليونان):

#### 1- مفهوم الفلسفة في مرحلة ما قبل سقراط

عند الحديث عن الفلسفة، كثيراً ما يُنظر إلى سقراط بوصفه المعلم الأول للفلسفة اليونانية، وبأنه أول من انتقل بالتفكير من الاهتمام بالكون إلى الاهتمام بالإنسان. ومن هذا المنطلق، فإن الحديث عن "الفلسفة قبل سقراط" لا يشير إلى فلسفة مكتملة بالمعنى المنهجي، بل إلى مرحلة تأسيسية عقلية كانت تمهد الطريق لما ستصبح عليه الفلسفة لاحقاً.

ففي تلك المرحلة، كانت الفلسفة لا تزال تتشكل في بيئة يغلب عليها الطابع الأسطوري والديني إلا أن فلاسفة تلك الحقبة، خصوصاً فيما يُعرف بالفلاسفة الطبيعيين، وهم مجموعة من المفكرين الإغريق الذين عاشوا خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وكانوا أول من حاول تفسير أصل الكون ومظاهره الطبيعية تفسيراً عقلانياً، بعيداً عن الموروثات الأسطورية. وقد انصبَّ اهتمامهم على الطبيعة (Physis) وسعوا إلى تحديد "المبدأ الأول" الذي تنشأ عنه جميع الموجودات.

ويُعد طاليس الملطي (Thales) أول هؤلاء الفلاسفة، وقد اعتبر أن الماء هو الأصل الأول لكل شيء، لكونه العنصر الضروري للحياة، والموجود في كل الكائنات، أما تلميذه أنكسيمندر (Anaximander) فقد خالفه الرأي، ورفض أن يكون الأصل عنصراً مادياً محسوساً، واقترح بدلاً من ذلك

"اللامحدود" (Apeiron)، كمبدأ غير محدد أو متعين، تتولد منه الأشياء وتعود إليه<sup>1</sup>، أما أنكسيمانس (Anaximenes)، فقد رجع إلى مبدأ محسوس، ورأى أن الهواء هو العنصر الأول وأن التغيرات التي تطرأ عليه بالتخلخل والتكاثف تفسر تنوع الظواهر الطبيعية<sup>2</sup>، ثم جاء هيراقليطس (Heraclitus)، الذي اتخذ النار كمبدأ أول، لكنه لم يقف عند المادة، بل ركز على الصيرورة والتغير معتبراً أن "كل شيء يتغير، ولا شيء يبقى على حاله"، وأن الصراع بين الأضداد هو جوهر الوجود<sup>3</sup>، وعلى النقيض منه، برز بارمنيدس (Parmenides) ليؤكد على وحدة الوجود وثباته، رافضاً التغير والتعدد، معتبراً أن "الوجود موجود، والعدم غير موجود"، في محاولة لتأسيس التفكير الفلسفي على مبدأ منطقي صارم<sup>4</sup>.

ورغم اختلاف آرائهم وتوجهاتهم، فقد شكّل الفلاسفة الطبيعيون نقطة انطلاق أساسية في تاريخ الفكر الإنساني، إذ مهّدوا لظهور العقل الفلسفي والعلمي معاً؛ من خلال سعيهم لتفسير الكون بعيداً عن الأسطورة وتدخل الآلهة، معتمدين على مبادئ عقلية وعناصر طبيعية. تمثل هذه المرحلة، المعروفة بالفلسفة قبل سقراط، البذرة الأولى للتفكير العقلي المنهجي، حيث بحث الفلاسفة عن مبدأ واحد يفسر تنوع الوجود. غير أنّ هذا المسار العقلي كان يمهد أيضاً، دون قصد، لمرحلة جديدة مع سقراط، الذي حوّل مركز الاهتمام من الطبيعة إلى الإنسان، وجعل من الأخلاق والمعرفة والوعي الذاتي جوهر التفلسف الحقيقي.

## 2- مفهوم الفلسفة عند سقراط:

يرى سقراط أن الفلسفة هي البحث عن الفضيلة والمعرفة بالنفس، وهي طريق لتهديب الأخلاق والسلوك، وقد اتخذ شعاراً: "اعرف نفسك بنفسك"، معتبراً أن معرفة النفس مقدّمة على معرفة الطبيعة أو العلوم الأخرى، ورفض مبدأ السفسطائيين القائل بأن كل إنسان مقياس للحق وسعى لإثبات أن هناك حقائق أخلاقية ثابتة. اعتمد في منهجه على العقل والحوار، لا على الحواس المتغيّرة، وجسّد الفلسفة كسلوك حيّ وظلّ وفياً لها حتى وفاته<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة اليونانية، بيروت، دار القلم، 1984، ص 27، 31.

<sup>2</sup> - فؤاد زكريا، مقدمة في الفلسفة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1975، ص 88.

<sup>3</sup> - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1952، ص 65.

<sup>4</sup> - إمام عبد الفتاح إمام، الطبيعة وما بعد الطبيعة عند فلاسفة اليونان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص 44.

<sup>5</sup> - أحمد أمين، وركي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط1، 2012، ص 80، 85.

### 3- مفهوم الفلسفة عند أفلاطون:

يتفق أفلاطون مع سقراط في القول بأن العقل هو سبيل المعرفة لا الحس؛ فالحس يختلف باختلاف الأفراد بل باختلاف الحالات في الشخص الواحد، أما العقل فهو عام في الناس جميعاً، وهو وحده مستقر الحقيقة، وهو يستطيع استخلاص الحقائق الكلية الثابتة، وتكون الفلسفة بذلك هي البصر بهذه الحقائق وهي الحق والخير والجمال، وتأملها<sup>1</sup>.

### 4- مفهوم الفلسفة عند أرسطو:

يرى أرسطو الفلسفة كعلم عميق يبحث عن جذور وأصول الوجود، فهو لا يكتفي بالمظاهر بل يتطلع إلى الأسباب الأولى، والغايات التي تفسر كل شيء حولنا. والفلسفة بالنسبة له ليست مجرد تأمل نظري، بل منهج عملي يعتمد على الملاحظة الدقيقة والمنطق الصارم لفهم العالم والحياة. قسّم العلوم إلى فروع متكاملة، تجمع بين النظرية والتطبيق، مما جعل الفلسفة عنده أساساً لكل معرفة علمية وفكرية لاحقة حيث تأخذ بيد الإنسان من الظنون إلى يقين الحقيقة<sup>2</sup>.

### 5- مفهوم الفلسفة عند المدارس التي تلت أرسطو:

شهدت الفلسفة بعد أرسطو تحولاً واضحاً في مقاصدها ووظيفتها، حيث انتقلت من البحث في الكليات والعلل الأولى إلى التركيز على الفلسفة، كطريقة للعيش وممارسة يومية لحياة فاضلة، وقد برز هذا التوجه في المدارس الفلسفية الهلنستية<sup>3</sup>، التي وُلدت في زمن ازدهرت فيه الاضطرابات السياسية، فتوجّهت الفلسفة نحو الذات، والتحرر من القلق، وبلوغ السكينة.

---

<sup>1</sup> - سعيد جاسم الأسدي، فلسفة التربية في التعليم الجامعي والعالي، دار صفاء للطباعة، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2014 ص108.

<sup>2</sup> - أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع السابق، ص110، 115.

<sup>3</sup> - المرحلة الهلنستية عند اليونان تشير إلى الفترة التاريخية التي تبدأ بعد وفاة الإسكندر الأكبر سنة 323 ق.م وتمتد حتى نحو 31 ق.م، حين هُزم آخر ملوك البطالمة (كليوباترا وأنطونيوس) على يد الرومان في معركة أكتيوم. معنى "هلنستية": "كلمة "هلنستية" مشتقة من "هلين"، وهو الاسم الذي كان اليونانيون يطلقونه على أنفسهم. و"هلنستية" تعني باختصار "نشر الثقافة اليونانية خارج اليونان" وامتزاجها مع ثقافات الشعوب الشرقية (كالفرس، والمصريين، والبابليين...).

## 1.5- الرواقية<sup>1</sup>: فلسفة العيش وفق الطبيعة والعقل

أسس زينون الرواقي هذه المدرسة، وقد رأى أن الفلسفة هي تدريب للنفس على العيش وفق مقتضيات العقل، والانسجام مع الطبيعة، وتحرير الإنسان من الانفعالات<sup>2</sup>، ويرى زينون الرواقي أن الفلسفة ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي تدريب عملي للنفس يهدف إلى تهذيب السلوك وتنمية القدرة على العيش وفق منطق العقل وانسجام مع الطبيعة. فالعقل، في نظر الرواقيين، هو المبدأ الكوني الذي يحكم العالم، والعيش الفلسفي الحقّ يعني أن ينسجم الإنسان مع هذا النظام العقلي الكوني، فيقبل ما يحدث برضا وهدوء دون انفعال أو اضطراب.

ومن هنا يتضح أن مفهوم الفلسفة عند زينون يقوم على البعد الأخلاقي والروحي؛ فهي طريق نحو الحرية الداخلية، من خلال التحكم في الانفعالات والتخلّي عن التعلّق بما لا يمكن تغييره. وبذلك تصبح الفلسفة أسلوب حياة يربط بين الفكر والعمل، ويقود الإنسان إلى الحكمة والطمأنينة.

## 5-2- الأبيقورية<sup>3</sup>: فلسفة اللذة العقلانية والطمأنينة

تقوم الفلسفة عند أبيقور بدور علاجي، هدفه التحرر من الخوف والألم، وتحقيق حياة هادئة خالية من الاضطراب. واعتبر أن اللذة لا تعني الانغماس المفرط في الملذات الحسية، بل تشير إلى اللذة العقلية الهادئة الناتجة عن إشباع الحاجات الضرورية، والبعد عن الرغبات الزائدة<sup>4</sup>.

وتعدّ الفلسفة عند أبيقور وسيلة عملية لتحقيق السكينة والسعادة، لا مجرد بحث نظري عن المعرفة. فهي تهدف إلى تحرير الإنسان من الخوف والألم، وتدريبه على العيش بحكمة واعتدال من خلال التمييز

<sup>1</sup> - الرواقية: مدرسة فلسفية تأسست على يد زينون الرواقي في أثنينا حوالي عام 300 ق.م، وتعلم أن الفضيلة هي الخير الأسمى، وأن الحكمة تكمن في العيش وفقاً للطبيعة والعقل، مع قبول ما يحدث بجداد وطمأنينة نفسية. - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة الغربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981، ص 220.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة اليونانية، وكالة المطبوعات، الكويت، 1977، ص 425-430.

<sup>3</sup> - الأبيقورية هي مدرسة فلسفية تأسست على يد الفيلسوف اليوناني أبيقور (341-270 ق.م)، وتركز على تحقيق السعادة من خلال اللذة العقلية والابتعاد عن الألم والقلق، معتبرة أن اللذات العقلية أهم من اللذات الجسدية، وأن السعادة تتحقق بحياة بسيطة ومتزنة مع الابتعاد عن الخوف من الآلهة والموت. - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة الغربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981، ص 215.

<sup>4</sup> - زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، ط2، 1975، ص 135 وما بعدها.

بين الرغبات الضرورية والزائدة، والتخلّص من الأوهام والخرافات. وبذلك تصبح الفلسفة عنده فنّاً للحياة الهادئة يقوم على التوازن الداخلي وصفاء النفس.

### 3.5- الشكّية: تعليق الحكم والبحث عن السلام الداخلي

رأت المدرسة الشكّية، وعلى رأسها بيرون، أن الشك هو السبيل إلى راحة النفس، فلا شيء يمكن الجزم به نهائياً، وبالتالي فإن تعليق الحكم (الإيوخيه)<sup>1</sup> هو الموقف الفلسفي الأمثل، لأنه يحرر الإنسان من الصراعات الناتجة عن التمسك بادعاءات المعرفة<sup>2</sup>.

### 5. 4- الأفلاطونية المحدثّة: الاتحاد بالواحد والتسامي الروحي

تبار فلسفي تأسّس في القرن الثالث الميلادي على يد أفلوطين (204 أو 205-270م)، يُعدّ امتداداً وتأويلاً صوفيّاً لفكر أفلاطون، يقوم على مبدأ "الواحد" كمصدر أول لكل الموجودات، ويشرح عملية الفيض التي تنبثق منها النفس والعقل والعالم. نشأت في بيئة هيلينستية مشبعة بالتصوف والممارسات الروحية، وتفرعت لاحقاً إلى مدارس متعددة في سوريا واليونان، مع تركيز على العودة إلى الأصل الإلهي عبر التطهير العقلي والروحي، مع أفلوطين، عادت الفلسفة إلى روحانية عميقة، حيث أصبحت أداة للارتقاء من عالم الحس إلى العالم الروحي، وانتهت إلى تصور فلسفي صوفي يربط الإنسان بالمبدأ الأول "الواحد". الفلسفة، حسب هذا التصور، ليست فقط معرفة، بل تطهير للنفس واستعداد للاتحاد بالمطلق<sup>4</sup>.

وهكذا يمكن القول أن الفلسفة بعد أرسطو، قد شهدت تحوّلاً عميقاً في وجهتها ومضمونها؛ إذ لم تعد مقتصرة على دراسة الطبيعة والماهيات كما كانت في الفلسفة اليونانية المبكرة، بل أصبحت مشروعاً إنسانياً لتكوين الذات وتحريرها من الخوف والاضطراب، من خلال ممارسة التفكير الواعي والعيش وفق مبادئ العقل والفضيلة.

فقد أصبحت الفلسفة، في مدارس مثل الرواقية والأبيقورية والأفلاطونية المحدثّة، طريقاً لتربية النفس على الاتزان والحرية الداخلية، وأداة لفهم الذات والعالم بطريقة تحقق الانسجام بين الفكر والعمل. وبذلك

<sup>1</sup> - الإيوخية (Epoché): مصطلح يوناني يُستخدم في الفلسفة الشكّية للدلالة على الامتناع عن إصدار الأحكام القطعية بشأن المعرفة أو الواقع عند بيرون والمدرسة الشكّية القديمة، كانت وسيلة لبلوغ السكينة (Ataraxia). وقد أعاد إدموند هوسرل استخدامه في الفينومينولوجيا بمعنى تعليق كل الأحكام المسبقة من أجل وصف الظواهر كما هي.

<sup>2</sup> - إمام عبد الفتاح إمام، أفلوطين: فيلسوف الفيض والواحد، دار التنوير، بيروت، 1986، ص 99-105.

تحولت إلى فنّ للعيش بحكمة، وإلى تجربة إنسانية يومية؛ تمنح الفرد القدرة على مواجهة الحياة بتعقيداتها بثبات واتزان.

## ب- مفهوم الفلسفة في العصور الوسطى (الإسلامية والمسيحية):

### 1- مفهوم الفلسفة في العصور الوسطى الإسلامية:

لقد سجلت الفلسفة اليونانية حضورها في التراث العربي الإسلامي؛ حيث تردد صداها عند فلاسفة العرب والمسلمين؛ فقد عرّف الفارابي في كتابه (الجمع بين رأيي الحكّمين) الفلسفة بأنها "العلم بالموجودات بما هي موجودة"، وذهب ابن سينا إلى تعريف العلم الإلهي بما عرفه به أرسطو، وهو أنه بحث في الوجود المطلق وأحواله ولواحقه ومبادئه، يقول ابن سينا: "الفلسفة الأولى موضوعها الموجود بما هو موجود ومطلوبها: الاعراض الذاتية الموجودة بما هو موجود- مثل الوحدة والكثرة والعلية وغير ذلك"<sup>1</sup>.

ويعتبر ابن رشد أحد أبرز فلاسفة المسلمين؛ المتأثرين بالفلسفة اليونانية، وخاصة أرسطو، فقد أعاد قراءة التراث اليوناني في إطار إسلامي عقلائي، وساهم في نقل فلسفة أرسطو إلى أوروبا عبر شروحه المترجمة مما جعله مؤثراً رئيسياً في الفلسفة الأوروبية، ولقب بـ "الشارح الأكبر". اشتهر بمشروعه التوفيقى بين الفلسفة والدين.

ويرى ابن رشد أن الفلسفة، التي يسميها "الحكمة"، هي معرفة الموجودات بأسبابها من خلال النظر العقلي الدقيق، وليس النقل فقط، ولا تتعارض مع الشريعة الإسلامية بل تؤدي إلى نفس الغاية التي تسعى إليها، وهي معرفة الحق. ويؤكد أن النظر العقلي في الموجودات واجب شرعي على من يقدر عليه، لأنه يقود إلى معرفة الصانع عبر التأمل في خلقه، مستندا إلى آيات قرآنية تدعو إلى التدبر والتفكير. كما يشرح أن الفلاسفة ينتمون إلى فئة أصحاب البرهان العقلي، ويدافع عن حق الفيلسوف في التأويل العقلي للنصوص الدينية، بشرط ألا يتجاوز حدود ومقاصد الشرع، معتبرا أن من يمنع دراسة الفلسفة هم إما

---

<sup>1</sup>- ابن سينا، عيون الحكمة، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ط2، 1980 ص47.

جاهلون بمقاصد الشرع أو لا يميزون بين الفلسفة الحقّة والانحرافات، وأن الفلسفة وسيلة لفهم الدين وتعميق الحكمة فيه<sup>1</sup>.

## 2- مفهوم الفلسفة في العصور الوسطى المسيحية:

خلال العصور الوسطى (من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر)، هيمن المفهوم اليوناني للفلسفة وبشكل خاص اعتبارها رغبة في التماس الحقيقة لذاتها، ومحاولة للتوفيق بين الوعي والعقل والرغبة في جعل العقل القديم، وسلطة الدين الجديد على وفاق واتساق. فقد كانت الفلسفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللاهوت المسيحي، وظلت دوماً ضمن الإطار الديني، حيث كانت تُعتبر "خادمة اللاهوت"، وبوساطة العقل والمنطق كانت تهدف إلى فهم العقيدة الدينية<sup>2</sup>.

فالفلسفة عند توما الإكويني على سبيل المثال، هي استعمال العقل للوصول إلى بعض الحقائق خاصة تلك المتعلقة بالله والعالم، دون الاعتماد على الوحي. وهو يرى أن الفلسفة لا تتعارض مع الإيمان بل تكمله وتخدمه؛ فالعقل قادر على إثبات بعض الأمور الإلهية (مثل وجود الله) لكن لا يمكنه إدراك أسرار الإيمان (مثل الثالوث) إلا بالوحي. تأثر توما الإكويني بفلسفة أرسطو، كما استفاد من فلاسفة المسلمين كابن سينا وابن رشد. من أبرز أفكاره الفلسفية: "الطرق الخمس" لإثبات وجود الله، والتمييز بين الممكن والواجب، ونظريته في المعرفة التي تبدأ بالحواس وتنتهي بالتجريد العقلي. وهدف الفلسفة عنده هو خدمة اللاهوت وتحقيق الانسجام بين العقل والإيمان.

## 3- مفهوم الفلسفة في العصر الحديث:

عرفت الفلسفة الحديثة تحولاً عميقاً ومميزاً عن الفلسفات السابقة، إذ بدأت تنفصل تدريجياً عن الدين واللاهوت لتتجه نحو العقل والعلم والتجربة بوصفها مصادر أساسية للمعرفة. لم تعد تهتم بالبحث في الوجود المجرد أو الميتافيزيقا كما كان الحال عند اليونان، بل صارت تركز على الإنسان والعقل والمعرفة، وعلى مناهج التفكير التي تضمن الوصول إلى الحقيقة.

<sup>1</sup> - ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط2، 1997 ص. 5-10.

<sup>2</sup> - medieval philosophy, [https://www.britannica.com/topic/medieval-philosophy?utm\\_](https://www.britannica.com/topic/medieval-philosophy?utm_), 15/02/2025.

وقد ظهر هذا التحول منذ عصر النهضة الأوروبية، مع فلاسفة مثل ديكارت الذي جعل من "الشك" منهجًا للوصول إلى اليقين، ويكون الذي دعا إلى اعتماد التجربة والملاحظة كأساس للعلم. ثم تواصل التطور مع فلاسفة مثل كانط الذي حاول التوفيق بين العقل والتجربة، وهيغل الذي رأى أن الفكر هو جوهر الوجود، وصولاً إلى الفلاسفات المعاصرة التي أولت اهتمامًا بالإنسان واللغة والمجتمع. ونظرًا لتعدد المدارس والتيارات الفلسفي، من عقلانية، وتجريبية، ومثالية ووضعية، ووجودية، وغيرها أصبح من الصعب الاتفاق على تعريف موحد للفلسفة، إذ يرى كل تيار فيها مجالاً مختلفاً للبحث والتفكير لذلك، فإن تتبع مفهوم الفلسفة عبر مدارسها وروادها هو السبيل لفهم طبيعتها المتجددة، ودورها في تفسير الإنسان والعالم والمعرفة.

### 1.3- مفهوم الفلسفة عند التجريبيين (فرنسيس بيكون):

يرى فرنسيس بيكون أن الفلسفة أداة عملية لفهم الطبيعة والسيطرة عليها، لا مجرد تأملات نظرية أو قياسات عقلية كما عند أرسطو. فهي تقوم على الملاحظة الدقيقة والتجربة، وتعتمد منهجاً استقرائياً تجريبياً يهدف إلى كشف قوانين الطبيعة وتسخيرها لصالح الإنسان. ويؤكد بيكون أن التحكم في الطبيعة لا يتحقق إلا بالخضوع لقوانينها، داعياً إلى تجديد الفلسفة وتحليلها من الغموض والألفاظ الغيبية، واعتماد لغة علمية دقيقة وواضحة.

### 2.3- مفهوم الفلسفة عند العقليين (رينيه ديكارت):

الفلسفة عند ديكارت هي العلم الذي يؤسس على يقين لا ريب فيه، يبدأ بالشك المنهجي ليصل إلى الحقيقة الثابتة. وهو يشبه الفلسفة بشجرة جذورها الميتافيزيقا، وجذعها الفيزياء، وفروعها العلوم الأخرى مثل الرياضيات والأخلاق، في إشارة إلى أن كل العلوم تنفرع من الفلسفة وتنمو عليها<sup>1</sup>. فالفلسفة عند ديكارت ليست مجرد فرع علمي مستقل بذاته، بل هي "العلم الأم" الذي يحتضن كل العلوم الأخرى. يعتبر ديكارت أن الفلسفة تضمّ كافة العلوم لأنها تنطلق من مبادئ عامة وعميقة يمكن من خلالها تفسير كل الظواهر الطبيعية والفكرية.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة الغربية، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981، ص 315.

وبهذا الطابع الشمولي، لا تكتفي الفلسفة عند ديكارت بتفسير العالم الخارجي فقط، بل تهتم أيضا بأسئلة المعرفة، الوجود، النفس، والأخلاق، مما يجعلها علما منهجياً شاملاً ومركزياً.

### 3.3- مفهوم الفلسفة عند البراغماتيين (بيرس، جيمس، ديوي):

رفض البراغماتيون الفلسفة النظرية، مؤكدين أن الحقيقة تكمن في النتائج العملية، فالفكرة لا تُقاس بصحتها المنطقية بل بما تحققه من نفع، وبالتالي الحقيقة عندهم ليست ثابتة بل مرتبطة بالفعل والواقع والسلوك<sup>1</sup>.

ويمكن القول أن هذا الاتجاه يعكس تحولاً جذرياً في وظيفة الفلسفة ومفهوم الحقيقة. فبينما ركزت الفلسفات التقليدية -العقلية والمثالية خصوصاً- على بناء أنساق نظرية مجردة، تهدف إلى الوصول إلى حقيقة مطلقة أو ثابتة، جاء البراغماتيون ليؤكدوا أن الحقيقة ليست غاية نظرية بل أداة عملية.

ويرى البراغماتيون، أن الفكرة لا تُقاس بمدى انسجامها المنطقي أو صلاحيتها العقلية، بل تُقاس بما تثمره من نتائج نافعة في الواقع. فإذا كانت الفكرة تؤدي إلى نتائج إيجابية، قابلة للتطبيق، تُسهم في تحسين الحياة أو حل المشكلات، فهي في نظرهم صحيح، بقدر ما تحققه من نفع عملي.

ومن هنا، فالحقيقة عند البراغماتيين ليست مطلقة ولا ثابتة، بل هي متغيرة، نسبية، مرهونة بالظروف والسياقات والسلوك البشري. وهذا ما يجعل الفلسفة البراغماتية أقرب إلى التفكير العلمي التطبيقي منها إلى الفلسفة التأملية النظرية.

### 3.4- مفهوم الفلسفة عند فلاسفة الوضعية المنطقية<sup>2</sup>:

ترتكز الوضعية المنطقية على مبدأ التحقق، الذي ينص على أن العبارة لا تُعد ذات معنى إلا إذا أمكن التحقق منها تجريبياً أو كانت صحيحة منطقية أو تحليلية. هذا المفهوم عرضه ألفرد جولز أير في كتابه اللغة، الحقيقة والمنطق، موضحاً أن القضايا التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة أو التجربة - مثل

---

<sup>1</sup> - وليم جيمس، البرهانية: اسم جديد لبعض طرق التفكير القديمة، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة الكويت عدد 89، 1985، ص 15، 30.

<sup>2</sup> - الوضعية المنطقية (Logical Positivism): تيار فلسفي نشأ في أوائل القرن العشرين على يد مجموعة من الفلاسفة والعلماء الذين كونوا ما تسمى بحلقة فيينا، ومن أبرزهم: رودولف كارناب، موريس شليك، سعت هذه الحركة إلى توحيد المعرفة العلمية تحت مظلة العقلانية التجريبية، معتمدة على تحليل اللغة واستخدام المنطق الرمزي.

القضايا الميتافيزيقية والدينية . تُعد عديمة المعنى من الناحية العلمية أو المعرفية<sup>1</sup>، وعلى هذا الأساس، رفضت الوضعية المنطقية كل المقولات التي تتجاوز حدود التجربة، ووصفتها بأنها "بمجرد تعبيرات لفظية خالية من المحتوى المعرفي".

لكن هذه الرؤية لم تَسَلِّمْ من النقد، فقد بيّن كارل بوبر أن مبدأ التحقق نفسه لا يمكن التحقق من صدقه تجريبياً، مما يجعله . وفقاً لمعيار الوضعية ذاتها. عديم المعنى. كما أخذ على الوضعية المنطقية تجاهلها للجوانب الإنسانية غير القابلة للقياس العلمي، مثل القيم والأخلاق والفن. ورغم أن الوضعية المنطقية تراجعت في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا أن أثرها استمر في تطوير فلسفة العلم والتحليل اللغوي، وأسهمت في ظهور اتجاهات فلسفية لاحقة مثل الوضعية المنطقية الجديدة والفلسفة التحليلية المعاصرة.

ويرى الوضعيون المناطق أن الفلسفة، ليست مجالاً لإنتاج معارف جديدة عن العالم، بل هي نشاط لغوي يهدف إلى تحليل اللغة وتوضيح معانيها بدقة، ويعتمدون على مبدأ التحقق الذي يقضي بأن الجمل ذات المعنى هي فقط تلك التي تكون إما تحليلية منطقياً أو قابلة للتحقق التجريبي، ولذلك فهم يرفضون القضايا الميتافيزيقية والدينية والأخلاقية، باعتبارها خارج نطاق الفلسفة، لأنها لا تخضع لمعيار التحقق ويؤكدون أن الفلسفة تهدف إلى تنقية الفكر من الأوهام الناتجة عن سوء استخدام اللغة، وليس إلى تقديم تفسيرات أو نظريات عن الواقع<sup>2</sup>.

### 3.5- مفهوم الفلسفة عند فلاسفة المادية الجدلية (كارل ماركس):

يرى الماديون الجدليون، وعلى رأسهم كارل ماركس، أن الفلسفة ليست مجرد تأملات نظرية، بل هي فهم نقدي للواقع المادي، وتحليل للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية، وهو يعتبر بأن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي الإنساني، وليس العكس، مؤكداً أن الفكر ليس منفصلاً عن الواقع، بل هو نتاج للظروف المادية التي يعيشها الإنسان، وتقوم فلسفته على الديالكتيك المادي، الذي يرى أن التغيير والتطور في العالم يحدث من خلال صراع الأضداد، مما يؤدي إلى تطور الكائنات والأفكار عبر مراحل متناقضة

<sup>1</sup>- أير ألفرد جولز، اللغة، الحقيقة والمنطق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، 1986، ص 54.

<sup>2</sup>- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المجلد الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984، ص 221.

وتهدف فلسفته إلى تحرير الإنسان من القيود الاجتماعية والاقتصادية، وتوجيهه نحو تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال التغيير الثوري<sup>1</sup>.

إن الفلسفة عند كارل ماركس ليست مجرد تأمل نظري في الواقع، بل هي أداة لفهم العالم من أجل تغييره، فقد انتقد التقاليد الفلسفية التي اكتفت بتفسير الظواهر المجتمعية دون السعي إلى تغييرها مؤكدًا أن الفلسفة الحقيقية يجب أن ترتبط بالممارسة العملية وتوجه نحو الفعل الثوري. فقد اكتفى الفلاسفة في رأيه حتى الآن بتفسير العالم بطرق مختلفة، ولكن المهمة تتجسد في تغييره.

وقد أحدث ماركس القطيعة مع الفلسفة المثالية، وخصوصا الهيغلية، عبر تأكيده على الدور التغييرى للفكر الفلسفي، المرتبط بالواقع المادي والبنية الاقتصادية والاجتماعية، لا بالوعي المجرد وهكذا تنتقل الفلسفة لديه من مجال التأمل إلى مجال الفعل، ومن إنتاج المفاهيم إلى تغيير العالم الواقعي تغييرا جذريا.

### 6.3 - مفهوم الفلسفة عند الوجوديين:

تركز الفلسفة الوجودية على تجربة الإنسان الفردية ووجوده في العالم، وتؤكد هذه الفلسفة أن الإنسان لا يُعرف إلا من خلال أفعاله واختياراته، وأن وجوده يسبق ماهيته أي أن الإنسان يوجد أولاً، ثم يحدد ماهيته من خلال أفعاله، وتركز الوجودية على مفاهيم مثل الحرية، القلق العزلة، والموت، وتعتبر أن الإنسان مسؤول عن خلق معنى لحياته في عالم قد يبدو خالياً من المعنى<sup>2</sup>.

فالفلسفة الوجودية، كما يوضح جان بول سارتر، تركز على الوجود الإنساني الفردي بوصفه أساساً للفهم الفلسفي. يرى سارتر أن الوجود يسبق الماهية، أي أن الإنسان لا يُولد بهوية أو هدف محدد، بل يُشكّل نفسه عبر اختياراته وأفعاله. الفلسفة، في هذا السياق، ليست تأملاً نظرياً بل نشاط حر يعبر عن حرية الإنسان ومسؤوليته الشخصية عن حياته ومعناه.

كما يرى سارتر أن الفلسفة تحت الإنسان، على الوعي الذاتي والتصرف بشكل مسؤول، مع رفض أن يكون كائناً سلبياً مجرداً من الإرادة. ويبرز أهمية الفعل الفردي كطريق لتحقيق الذات، والتحرر من أشكال القهر المختلفة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص 112-115.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 45.

<sup>3</sup> - جان بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة عبد الله العروي، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص 45.

## خلاصة:

يمكن القول عموماً بأن مفهوم الفلسفة، قد تطور من دلالة اشتقاقية تعني "محبة الحكمة" أو البحث عن الحقيقة، إلى تعدد معانٍ اصطلاحية تختلف باختلاف السياقات الفكرية والمدارس الفلسفية، هذا التعدد يعكس عمق وغنى الفلسفة وتنوع مناهجها وأهدافها، من تأمل نظري إلى نشاط عملي وتحليلي، وفهم هذه الدلالات المتنوعة ضروري لبناء وعي فلسفي متين، يمكن من خلاله التعامل بوعي نقدي مع الأفكار والمفاهيم، مما يعزز القدرة على التفكير العميق في شتى مجالات المعرفة والحياة.



## المحاضرة الثانية

### خصائص التفكير الفلسفي

#### تمهيد:

يُعدّ التفكير خاصية إنسانية أساسية، تتجلى في أنماط متعددة، ومنها التفكير العامي، الديني، الخرافي العلمي، والفلسفي. ويتميّز التفكير الفلسفي بخصوصيات فكرية ومنهجية، تجعل منه أكثر أنماط التفكير تعقيداً وعمقاً. وقد نشأ هذا النمط من التفكير في الحضارة اليونانية منذ القرن السادس قبل الميلاد، وظلّ عبر التاريخ أداة لفهم الوجود والإنسان والمجتمع. فما الذي يميّز التفكير الفلسفي عن غيره من أشكال التفكير؟

#### أولاً: أنماط التفكير السابقة على التفكير الفلسفي:

قبل ظهور التفكير الفلسفي في اليونان، ساد بين الحضارات القديمة نمط من التفكير اتسم بطابعه الغيبي والرمزي، تمثل في الأسطورة والخرافة والدين. اعتمد التفكير الأسطوري على سرد قصص رمزية عن آلهة وكائنات خارقة لتفسير الظواهر الطبيعية والكونية، مثل تفسير البرق على أنه غضب إلهي. أما التفكير الخرافي، فكان يقوم على الاعتقاد بوجود قوى خفية وسحرية تؤثر في مجريات الحياة، وربط غير عقلاني بين الأحداث مثل الاعتقاد بأن ارتداء تيممة يجلب الحظ أو أن حدوث كسوف نذير شؤم. في المقابل، ظهر التفكير الديني كنسق أكثر تنظيمًا، يقوم على الإيمان بآلهة أو إله واحد، ويتضمن طقوسًا وعقائد تهدف إلى تنظيم العلاقة بين الإنسان والمقدس. وقد سادت هذه الأنماط من التفكير في حضارات كبرى مثل مصر

وبلاد الرافدين والهند القديمة، ووقرت إطاراً لفهم العالم قبل أن يتحول الإنسان إلى استخدام العقل والملاحظة في تفسير الظواهر، وهو ما ميّز بداية التفكير الفلسفي في اليونان.

ثانياً: الخصائص الأساسية للتفكير الفلسفي:

### 1- تفكير عقلاني تأملي:

التفكير العقلاني هو ذلك النمط من التفكير؛ الذي يعتمد على السبب من أجل البحث واكتشاف المعرفة الموثوق بها. وهنا فإن العواطف لا تعتبر أدلة والمشاعر لا تعتبر حقائق، أما التفكير التأملي فهو ذلك النمط من التفكير المرتبط بالوعي الذاتي، والمعرفة الذاتية أو التأمل الذاتي، والذي يعتمد على النظر بعمق ومراقبة النفس<sup>1</sup>.

والتفكير الفلسفي يبدأ من العقل وينتهي إليه. فالعقل هو أدواته الوحيدة للفهم والتحليل، والفلسفة بهذا المعنى، هي ممارسة عقلية تأملية، تجعل من الفيلسوف كائناً دائماً التساؤل، لا يستقر على إجابات جاهزة، بل ينخرط في حالة من التأمل المستمر في مفاهيم الوجود، المعنى، والقيمة. فالفيلسوف كائن متأمل متحرر من القيود، لا يقيم في حدود ثابتة، بل يسكن فضاء الأسئلة والبحث عن المعنى، ولهذا يُعدّ ضمير المجتمع وعقله المفكر<sup>2</sup>.

### 2- تفكير مجرد:

يتميّز التفكير الفلسفي بقدرته على التجرد من الجزئيات والتفاصيل الحسيّة، والارتقاء نحو المفاهيم والمعاني الكلّيّة؛ التي تكشف جوهر الأشياء ومعناها العميق. فالفيلسوف لا يكتفي بما تراه العين أو تلمسه اليد، بل يسعى إلى ما وراء الظواهر، إلى الحقيقة التي تمنحها معناها. إنه لا يسأل فقط عما هو موجود، بل يتأمل أيضاً في ما ينبغي أن يكون، فيتحوّل نظره من العالم المادي إلى عالم الفكر والعقل. ويُعدّ أفلاطون مثالا بارزا على هذا النمط من التفكير؛ فقد رأى أن ما نراه في عالمنا المحسوس من أشياء جميلة أو عادلة ليس إلا انعكاسا ناقصا لحقائق أزلية خالدة سماها عالم المثل. فهو لم يبحث عن

<sup>1</sup> - فارس راتب الأشقر، فلسفة التفكير ونظريات في التعلم والتعليم، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص41،

42.

<sup>2</sup> - فتحي التريكي، الفلسفة الشريفة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، د.ت، ص26.

الجمال في زهرة أو لوحة، بل عن فكرة الجمال في ذاتها، تلك الفكرة التي لا تُدرك بالحواس بل بالعقل وحده.

وهكذا، فإن التجريد هو جوهر الفلسفة، لأنه ينقل التفكير من حدود الواقع المتغير إلى رحابة الفكر الخالص، حيث تُدرك المعاني في صفائها وعمقها.

### 3- تفكير تساؤلي نقدي:

يتسم التفكير الفلسفي بكونه تساؤليًا بالدرجة الأولى، وهو لا يتعامل مع المعارف كحقائق نهائية بل ينظر إليها باعتبارها موضوعًا للتساؤل المستمر، وعلى حدّ تعبير كارل ياسبرز فإن كل إجابة في الفلسفة تفتح بابًا لسؤال جديد، فالسؤال هو بداية الفلسفة. والتفكير الفلسفي نقدي بطبيعته، يعيد النظر في المسلمات والبداهيات، ويشكّ في كل يقين لا يقوم على برهان، والفيلسوف في هذا السياق، يُمارس الفكر من موقع مستقل، لا يخضع فيه إلا لسلطة العقل والحقيقة.

ويساهم التفكير الفلسفي في تعزيز الاستقلالية الفكرية والوعي النقدي، محررا الفرد من تقبّل الآراء الجاهزة، ودافعا إياه إلى مساءلة الأفكار السائدة. ولا يقتصر على تنمية الوعي الذاتي، بل يفتح أفقا لفهم قضايا الإنسان والمجتمع كالحرية والعدالة والمعنى. كما يُنمّي القدرة على احترام الاختلاف وترسيخ قيم الحوار، واضعا العقل في مركز العملية الفكرية كأداة للتحرر من الجهل والسعي نحو الوعي<sup>1</sup>.

### 4- تفكير نسقي منظم:

يتميّز التفكير الفلسفي بكونه تفكيرًا نسقيًا ومنظمًا، أي أنه لا يكتفي بتجميع الآراء والمواقف بشكل عشوائي، بل يسعى إلى بناء نسق من المبادئ المترابطة منطقيًا ومنهجيا، ينطلق من تساؤلات كبرى حول الوجود والمعرفة والقيم، ويعمل على تقديم أجوبة منسجمة تشكل تصورا كليًا للعالم والإنسان. إن الفلسفة في هذا السياق، لا تقف عند حدود القضايا الجزئية، بل تسعى إلى تفسير شامل ومنطقي للعالم.

إن الفلسفة، وخلافًا لأنواع التفكير العفوي أو العلمي التجريبي، تسعى إلى بناء "نسق شامل من المبادئ العقلية المتناسكة"، إذ يطمح الفيلسوف إلى إقامة وحدة فكرية منسجمة بين مختلف القضايا، فلا يفصل بين الوجود والمعرفة والقيم، بل يربطها ضمن نسق منظم<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - سعيد مراد، العقل الفلسفي في الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2000، ص125.

<sup>2</sup> - زكريا إبراهيم، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، القاهرة، ط2، 1975، ص. 45-48.

وقد شدّد محمد عابد الجابري على هذا البعد النسقي في تحليل العقل الفلسفي، مميّزًا بين "التفكير التجزيئي"، الذي يتعامل مع القضايا منعزلة، و"التفكير النسقي"، الذي يبني تصورا عاما انطلاقا من مبادئ أولية تنتظم حولها القضايا بشكل تراتبي ومنهجي<sup>1</sup>.

ويتجلّى الطابع النسقي بوضوح في تاريخ الفلسفة في مشاريع كبرى: فقد بنى أفلاطون فلسفته على مبدأ "الخير الأعلى" كنقطة مرجعية، تدور حولها نظرياته في المعرفة والسياسة والأخلاق، وفي العصر الحديث نظّم كانط العقل في بنيات مستقلة (نظرية، عملية، جمالية)، مؤكدا على ضرورة وحدة النسق كمقوم أساسي للفكر الفلسفي<sup>2</sup>.

إن الطابع النسقي للتفكير الفلسفي لا يمثل مجرد ترتيب شكلي للأفكار، بل يُعدّ ما يمنح الفلسفة تماسكها الداخلي، وقدرتها على تقديم تفسير عقلائي وشامل للعالم والذات، ضمن رؤية تؤمن بتراطب القضايا وتكامل المعارف.

## 5- تفكير شمولي:

يتميّز التفكير الفلسفي بكونه تفكيراً شمولياً، لا يقتصر على تناول موضوعات جزئية أو معزولة، بل يسعى إلى فهم الكل في ترابطه وتداخله. فالفيلسوف لا يطرح السؤال حول واقعة محددة، بل ينطلق من التساؤل عن المبادئ العامة التي تُفسّر هذه الواقعة، وتُدرجها ضمن تصور كلي للعالم، والإنسان، والمعرفة والقيم.

إن الفلسفة تميل دائما إلى الكلية والتجريد، بمعنى أنها لا تكتفي بملاحظة الجزئيات، بل تهدف إلى فهمها ضمن رؤية شاملة تنطلق من الأساسيات الكبرى التي تحكم الوجود والمعرفة. والفيلسوف لا يُفكر في موضوعه إلا بوصفه جزءاً من بنية كلية أوسع.

إن هذا الطابع الشمولي يجعل من الفلسفة أداة لفهم الترابط العميق بين الظواهر، ويجعلها مختلفة عن بعض أنماط التفكير التقني أو التجريبي، الذي يركّز على الجوانب الجزئية دون أن يبحث في الخلفيات الكلية التي تمنحها معناها. ولهذا، يرى محمد عابد الجابري أن الطموح الفلسفي الكلي هو ما جعل الفلسفة

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 112 وما بعدها.

<sup>2</sup> - إمام عبد الفتاح إمام، كانط والفلسفة النقدية، دار التنوير، بيروت، 1985، ص. 90-95.

تتداخل مع العلم، والدين، والأخلاق، والسياسة، لأنها ترفض الفصل الحادّ بين المجالات، وتبحث عن الوحدة خلف التنوع<sup>1</sup>.

وقد كانت الشمولية إحدى السمات البارزة في المشاريع الفلسفية الكبرى، سواء في فلسفة أفلاطون التي جمعت بين الميتافيزيقا، والسياسة، والجمال، أو في النسق الفلسفي عند هيغل، الذي سعى إلى تفسير التاريخ والعقل والواقع في إطار جدلي موحد، يجمع بين المطلق والمحدود، والحرية والضرورة<sup>2</sup>. لذلك، فإن الطابع الشمولي في التفكير الفلسفي لا يُعبّر فقط عن ميل نحو التعميم أو النظر الكلي للأشياء، بل يتجاوز ذلك إلى رغبة عميقة في بناء تصور متكامل ومترايط للواقع بكل أبعاده المادية والمعنوية. فالفيلسوف لا يكتفي بدراسة الظواهر الجزئية أو الوقائع المنعزلة، بل يسعى إلى اكتشاف الروابط الخفية التي تجمع بينها، وإلى فهمها في إطار نسق من المبادئ والقوانين العامة التي تمنحها معناها ومكانها في الكل. هذا المنظور الشمولي يجعل الفلسفة بحثًا عن المعنى الكلي للوجود الإنساني، وعن موقع الإنسان في الكون وعلاقته بما حوله من طبيعة ومجتمع وقيم. فالتفكير الفلسفي يسعى إلى ردّ الجزئيات إلى كلياتها، والمظاهر إلى أصولها، والوقائع إلى مبادئها، في محاولة لتحقيق وحدة الفهم بين مختلف مجالات التجربة الإنسانية. ومن هنا، فإن الشمولية في الفلسفة لا تعني الغموض أو التجريد الفارغ، بل هي نزعة نحو التكامل والاتساق في النظر، بحيث يصبح التفكير الفلسفي أداة لتوحيد المعرفة، وفهم الواقع في شموليته، واستيعاب المعنى العميق للحياة والوجود.

#### خلاصة:

إن التفكير الفلسفي يتصف بجملة من الخصائص المترابطة، فهو تفكير عقلائي، تأملي، تساؤلي نقدي، شمولي ونسقي، وهو بهذا المعنى يُعدّ نمطًا مميزًا من التفكير، لا يقتصر على التأمل في المفاهيم الكبرى بل يهدف أيضًا إلى تحرير الإنسان من الوثوقيات الجاهزة، وإلى بناء عقل نقدي قادر على مساءلة الواقع ومراجعة ذاته باستمرار.



<sup>1</sup>- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 85 وما بعدها.

<sup>2</sup>- إمام عبد الفتاح إمام، الجدل الهيجلي، دار التنوير، بيروت، 1986، ص 102 وما بعدها.

## المحاضرة الثالثة

### المباحث الأساسية للتفكير الفلسفي

تمهيد:

حين يتأمل الإنسان في نفسه والعالم، تبرز أمامه أسئلة جوهرية عن الحقيقة، والمعرفة، والإرادة، والخير والشر. هذه الأسئلة تُعبّر عن روح التفكير الفلسفي الراض للإجابات السطحية، والساعي لفهم أعمق للوجود والمعنى. ومن أجل تنظيم هذا التفكير، تشكلت في الفلسفة ثلاثة مباحث رئيسية: مبحث الوجود "الأنطولوجيا"، مبحث المعرفة "الإبستمولوجيا" مبحث القيم "الأكسيولوجيا".

**أولاً: مبحث الوجود "الأنطولوجيا" "ontologie":**

يُعد مبحث الوجود (الأنطولوجيا) من أهم فروع الفلسفة، إذ يركّز على دراسة طبيعة الوجود وماهية الكائنات، ساعياً إلى بناء نظرية شاملة في طبيعة العالم. ويتناول هذا المبحث أسئلة جوهرية من قبيل: ما الذي يوجد؟ وما طبيعة ما هو موجود؟ وهل للكون أصل أول أو مبدأ أساس؟ كما يبحث في مفاهيم مثل الجوهر، العرض، العدم، والواقع. ويمتد اهتمامه إلى دراسة خصائص الوجود العامة، والبحث فيما إذا كانت الظواهر خاضعة لقوانين ثابتة أم خاضعة للاتفاق والمصادفة. بخلاف العلوم الجزئية التي تكتفي بدراسة الظواهر الحسية والعلل القريبة، ينصبّ اهتمام هذا المبحث على الموجود في ذاته، ساعياً إلى فهم العلل الأولى أو البعيدة.

ومن القضايا التي يثيرها أيضاً: هل الكون قديم أم محدث؟ ما حقيقة النفس؟ وهل هي فانية أم خالدة؟ وقد تعددت المذاهب في تفسير الوجود، فهناك المذهب الواحدي الذي يرد الوجود إلى مبدأ واحد مادي أو روحي، وهناك المذهب الثنائي الذي يرى أن الوجود قائم على مبدئين، كالعقل والمادة أو النفس والجسم. ومن أبرز ممثلي هذا التيار أناكساغوراس، الذي ميّز بين العقل كمصدر للنظام والحركة والمادة كذرات لا تحرك ذاتها، وأفلاطون الذي فرّق بين عالم المعقولات، باعتباره الوجود الحقيقي، وعالم المحسوسات كوجود ظاهري. أما ديكارت، فأسس للمذهب الثنائي الحديث، حين اعتبر أن الجسم جوهر مادي يمتاز بالامتداد، في حين أن النفس أو العقل جوهر مفكر مستقل<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - أرفلد كولبة، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، عالم الأدب للترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص193، 194.

## ثانياً: مبحث المعرفة "الإبستمولوجيا" "Epistemology"، "Epistemologie"

الإبستمولوجيا لفظ مركب من لفظتين: أحدهما إبستميا (Epistemé) وهو العلم، والآخر لوغوس (Logos)، وهو النظرية أو الدراسة، فمعنى الإبستمولوجيا إذن نظرية العلوم، أو فلسفة العلوم، أي دراسة مبادئ العلوم، وفرضياتها، ونتائجها، دراسة انتقادية توصل إلى إبراز أصلها المنطقي، وقيمتها الموضوعية<sup>1</sup>. ولم تظهر الإبستمولوجيا كمبحث مستقل إلا في مطلع القرن العشرين، حين بدأت تُعنى بتحليل المعرفة العلمية، من خلال دراسة مناهجها، وأسسها، ونقد نتائجها. وهي تختلف عن نظرية المعرفة التي تتناول المعرفة الإنسانية عموماً، في طبيعتها وقيمتها وحدودها. تُركّز الإبستمولوجيا على أسئلة مثل: هل المعرفة ممكنة؟ ما حدودها ومصادرها؟ ما طبيعتها؟ وهل هي واقعية أم مثالية، ثابتة أم متطورة؟ وقد اختلف الفلاسفة في الإجابة عن هذه الأسئلة؛ فبينما أجاب الوثوقيون بالإيجاب على إمكانية المعرفة، أنكروا الشكاك. وانقسم الوثوقيون بدورهم إلى تيارات: حسيون كجون لوك، وعقليون كديكارت، وحديسون كبرغسون<sup>2</sup>.

وقد اختلف الفلاسفة عبر العصور حول طبيعة المعرفة ومصدرها، فذهب الواقعيون إلى أنها انعكاس لما هو موجود في العالم الخارجي، وانقسموا بدورهم إلى واقعيين سذج يرون أن المعرفة تُكتسب مباشرة من الحواس، معتبرين أن ما تدركه العين أو تسمعه الأذن هو الحقيقة ذاتها، وواقعيين نقديين رفضوا هذا التبسيط مؤكدين أن المعرفة لا تقتصر على الإدراك الحسي، بل تحتاج إلى تدخل العقل في تفسير المعطيات وتنظيمها وعلى النقيض من ذلك، رأى المثاليون أن المعرفة لا تتبع من الواقع الحسي؛ بل من الذات أو من عالم مثالي مفارق، حيث اعتبر المثاليون الذاتيون أن المعرفة فطرية، نابعة من العقل ومبادئه القبليّة، كما عند ديكارت بينما رأى المثاليون الموضوعيون، وعلى رأسهم أفلاطون، أن المعرفة موجودة خارج الذات في عالم المثل الذي يمثل الحقيقة الثابتة والخالدة.

وقد بلغت المثالية ذروتها عند هيغل في فلسفته المثالية المطلقة، حيث تُفهم المعرفة كنتاج لتطور الروح عبر التاريخ في مسار جدلي مستمر. أما من حيث ثبات المعرفة أو قابليتها للتغير؛ فقد رأى القائلون

<sup>1</sup> - جميل صليبا المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص33.

<sup>2</sup> - علي عبد المعطي محمد، المدخل إلى الفلسفة، دار المعرفة الجامعة، مصر، د.ط، 2000، ص461، 464، 466.

بفطريتها أنها ثابتة لا تتغير، بينما ذهب أنصار اكتسابها إلى أنها تنمو وتتطور، وهو ما أكده عالم النفس جان بياجيه، الذي بيّن أن المعرفة عملية بنائية تتأثر بعوامل عدة كالعمر، والنضج البيولوجي، والتفاعل مع البيئة، والسياق الثقافي والتعليمي، ما يجعلها ديناميكية ومتغيرة باستمرار<sup>1</sup>.

### ثالثاً: مبحث الأكسيولوجيا "Axiology"<sup>2</sup>:

يهتم هذا المبحث بدراسة المبادئ، التي تُضفي على الأشياء أو الأفعال أو الأحكام صفة "القيمة" وتُعد من المباحث الأساسية في الفلسفة، وهي تتناول القيم الكبرى التي توجه الفكر والسلوك الإنساني وهي: قيمة الحق، والخير، والجمال، وترتبط هذه القيم، وفق التصور التقليدي، بثلاثة فروع معيارية أساسية في الفلسفة: علم المنطق الذي يُعنى بقيمة الحق والصواب في التفكير والاستدلال، وعلم الأخلاق الذي يبحث في الخير والشر، وما يجب فعله من الناحية الأخلاقية، ثم علم الجمال الذي يدرس ما يُعد جميلاً أو قبيحاً في الفن والطبيعة والذوق<sup>3</sup>.

وتُوصف هذه العلوم بأنها "معيارية"؛ لأنها لا تكتفي بوصف الواقع كما هو، بل تهدف إلى تحديد ما يجب أن يكون، أي أنها تضع معايير للحكم على الأفكار أو الأفعال أو الأشياء من حيث قيمتها، وتختلف بذلك عن العلوم الوضعية (كالفيزياء أو البيولوجيا أو علم الاجتماع الوضعي) التي ينحصر اهتمامها في ما هو كائن فعلاً، أي في الوصف الموضوعي والتجريبي للظواهر، دون إصدار أحكام معيارية.

ومن هنا تبرز أهمية الأكسيولوجيا، بوصفها بحثاً في أسس التقييم التي يعتمدها الإنسان في مختلف مجالات الحياة، فهي تسعى لفهم كيف ولماذا نعد بعض الأشياء ذات قيمة في ذاتها (كالحقيقة أو الحرية أو الجمال)، بينما نعد أشياء أخرى ذات قيمة وظيفية أو أداتية فقط (كالمال أو الأدوات)، ويطرح هذا

<sup>1</sup> - علي عبد المعطي محمد، المدخل إلى الفلسفة، ص 468، 469.

<sup>2</sup> - نظرية القيمة "Axiology" في اللغة مشتقة من الكلمة اليونانية "Axia" قيمة وكلمة "Logos" علم أو نظرية، والأكسيولوجيا كمبحث فلسفي مستقل يدرس مشكلات القيم الاقتصادية والجمالية والتاريخية... إلخ، ولم يظهر إلا منذ فترة قصيرة نسبياً يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر. - مختار البسيوني، الوضعية المنطقية بين القيم الدينية والأخلاقية عند ألفرد إيو، وكالة الشرق للطباعة، مصر، 2002، ص 18.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط 5، 2002، ص 21.

المبحث إشكالات فلسفية عميقة تتعلق بطبيعة القيم: هل هي موضوعية ومطلقة، أم نسبية ومتغيرة بتغير الأفراد والثقافات؟ وهل يمكن للعقل أن يبرر القيم، أم أنها نابعة من الإحساس والذوق والتقاليد؟، وبهذا المعنى تُعد الأكيولوجيا الجسر الذي يربط بين المعرفة، والسلوك، والإحساس بالجمال، وتفتح المجال لفهم أعمق للذات الإنسانية، ليس فقط من حيث ما تعرفه أو ما تفعله، بل أيضاً من حيث ما تُقدّره وتمنحه معنى في حياتها.

### خلاصة:

يتضح لنا من خلال تناول مباحث الوجود، والمعرفة، والقيم، أن التفكير الفلسفي يسعى لفهم عميق للواقع والإنسان، من خلال التساؤل العقلائي والنقدي. فالفلسفة لا تكتفي بوصف ما هو كائن، بل تهدف إلى البحث فيما يجب أن يكون، وتقديم إطار لفهم الحقيقة، والتمييز بين الخير والشر، وتقدير الجمال والمعنى. كما يُظهر تطور المباحث الحديثة قدرة الفلسفة على مواكبة قضايا العصر، مما يجعلها أداة فكرية حيّة لفهم الذات والعالم.



## المحاضرة الرابعة

### الفلسفة وتجاوز التفكير الأسطوري

#### تمهيد

لجأ الإنسان ومنذ فجر التاريخ، إلى التفكير الأسطوري لفهم الظواهر التي يعجز عن تفسيرها بالعقل أو التجربة، مستندا إلى الخيال والرمز والقوى الخارقة. وقد لعبت الأسطورة دورا مهماً في تفسير العالم وتنظيم العلاقات مع المقدّس، إضافة إلى ترسيخ القيم الأخلاقية والاجتماعية. لكن مع تطور اللغة والعقل النقدي خاصة في الحضارة اليونانية، بدأ الإنسان ينتقل نحو التفكير الفلسفي القائم على العقل والمنهج. وهنا يُطرح سؤال جوهري: إلى أي مدى استطاعت الفلسفة أن تتجاوز التفكير الأسطوري؟

#### أولاً: الأسطورة وخصائصها:

الأسطورة بالفرنسية والإنجليزية (Mythe) وبالإيونانية (Muthos) هي قصة خيالية ذات أصل شعبي تعبر عن قوى الطبيعة وشخصيات إلهية تحمل معانٍ رمزية، مثل الأساطير الإيونانية التي تفسر الظواهر الكونية

بتدخل آلهة متعددة. كما يمكن أن تكون الأسطورة حديثًا خرافيًا يفسر وقائع الواقع، مثل أسطورة العصر الذهبي أو الجنة المفقودة. وتتجسد الأسطورة أيضًا في صورة شعرية أو روائية تعبر عن أفكار فلسفية بأسلوب رمزي، كما في أسطورة الكهف لأفلاطون أو قصة سلامان وأبسال في فلسفة ابن سينا. بشكل عام الأساطير تصف أفعال الآلهة والحوادث الخارقة، وتختلف من أمة لأخرى حسب ثقافتها، وتُستخدم إما للتعليم أو التسلية. ويُقال إن الأسطورة تعبر عن الحقيقة بلغة الرمز والحجاز. فقد عرّفها فراس السواح بأنها "حكاية مقدسة يؤمن بها أهل الثقافة التي أنتجتها، وتحتوي على رسالة سرمدية تربط بين العالم المادي والعوالم المقدسة، وتبين حقائق خالدة للبشرية"<sup>1</sup>.

ويتميز التفكير الأسطوري بأنه نمط فكري؛ يعتمد على الخيال والرموز لتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وكذا باستخدامه للشخصيات والأحداث الرمزية، التي تمثل قوى الطبيعة أو القيم الإنسانية ويقوم هذا التفكير على قصص خيالية تتضمن تدخلات كائنات خارقة أو آلهة، دون الاعتماد على المنطق أو التجربة العلمية، مما يمنحه طابعًا خرافيًا. على سبيل المثال، في الأساطير اليونانية، تُفسر ظواهر الطبيعة بتدخل آلهة مثل زيوس وإله الرياح<sup>2</sup> بورياس، بينما في الأساطير المصرية القديمة كانت الآلهة مثل رع وإيزيس تشرح سر الحياة والموت.

### ثانياً: بدايات الفلسفة كتجاوز للتفكير الأسطوري:

ظهرت الأسطورة كأقدم شكل من أشكال التفكير الإنساني، حيث لجأ الإنسان القديم إلى استخدام الخيال الرمزي لتفسير الظواهر الكونية والوجودية التي عجز عن فهمها بالعقل أو بالتجربة. وتعود أصول الأساطير إلى العصور القديمة جدًا، إذ نُقلت شفهيًا في البداية، ثم دُوّنت في نصوص مقدسة أو شعرية مع

<sup>1</sup> - فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط2، 2001، ص15.

<sup>2</sup> - تُعبّر الأساطير اليونانية عن الرياح الأربعة عبر آلهة يُعرفون بـ الأنيموي (Anemoi)، وهم أبناء الإلهين أسترايوس (Astraeus) وإوس (Eos)، ويمثل كل منهم رياحًا توجيهية ذات صفات ومواسم مميزة. بورياس (Boreas) إله الرياح الشمالية، يجلب البرد القارس والشتاء. نوتوس (Notus) يمثل الرياح الجنوبية الحاملة للأمطار والعواصف في أواخر الصيف والخريف. زيفيروس (Zephyrus) هو رياح الغرب اللطيفة، ناشرة نسائم الربيع والخضوبة. أما يوروس (Eurus)، فهو رياح الشرق الأقل شهرة، غالبًا ما يُرتبط بالمطر أو الرياح الحارة. تظهر هذه التفاصيل عند هيزيود في كتاب (Theogony) كما تصوّرهم المصادر الأدبية الأقدم مثل هوميروس في الأوديسة. -

.https://penelope.uchicago.edu/~grout/encyclopaedia\_romana/greece/architecture/winds.html?utm.

- تاريخ الإطلاع: 2025/08/22.

تطور الكتابة. من أبرز هذه الأساطير تلك التي ظهرت في الحضارات الكبرى القديمة، مثل بلاد الرافدين (العراق القديم)، حيث تعد أسطورة جلجامش<sup>1</sup> أقدم الأساطير المدونة، إذ يعود تاريخها إلى نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد، مستندة إلى روايات شفوية أقدم، وقد عُثِر على نسخة موثقة على ألواح طينية باللغة الأكادية في مكتبة آشور بانيبال في نينوى.

وفي مصر القديمة؛ ظهرت الأساطير الدينية مثل أسطورة إيزيس وأوزوريس، التي تعود أصولها إلى حوالي 2500 ق.م، وتناولت مفاهيم الخلق، الموت، والبعث، وكانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعبادة الفرعونية، وفي الهند القديمة تعود الأساطير الهندوسية إلى النصوص الفيديّة، وخاصة الريغ فيدا (Rig Veda)، التي تم تأليفها ما بين 1500 و1200 ق.م، وتُعتبر من أقدم النصوص الدينية والأسطورية في العالم<sup>2</sup>، وفي اليونان القديمة تطورت الأساطير الإغريقية عبر قرون، ودوّنها شعراء مثل هوميروس في "الإلياذة" و"الأوديسة" في القرن الثامن قبل الميلاد، ثم هيزيود في "ثيوغونيا"، التي تعرض نسب الآلهة وأصل الكون<sup>3</sup>. وتُظهر هذه النماذج أن الأسطورة مثّلت في كل حضارة أداة لفهم العالم، وتثبيت القيم، وشرح الظواهر التي بدت للإنسان القديم غامضة أو خارقة.

وقد شكّل ظهور الفلسفة في اليونان، وتحديدًا في مدينة ملطية على الساحل الغربي لآسيا الصغرى لحظةً مفصلية في تاريخ الفكر البشري. ففي القرن السادس قبل الميلاد، بدأ الإنسان في التحلي التدريجي عن التفسير الأسطوري الغيبي للظواهر الطبيعية والوجودية، وانتقل نحو التساؤل العقلي والمنهجي. لم تعد الظواهر مثل البرق، الزلازل، أو الخلق الكوني تُفسّر بواسطة آلهة غاضبة أو كائنات خرافية، بل أصبحت موضوعًا للتأمل العقلي والبحث عن علل مادية منطقية. وبرز في هذه المرحلة ما يُعرف بـ "الفلاسفة الطبيعيين"، وأبرزهم: طاليس، الذي اعتبر أن أصل الكون هو الماء، وأنكسيمندر، الذي اقترح مبدأ

---

<sup>1</sup> - أسطورة جلجامش هي أقدم عمل أدبي مكتوب وصلنا من حضارة بلاد الرافدين، نُقِشت على اثني عشر لوحًا طينية باللغة الأكادية البابلية، وتم العثور عليها في مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال في نينوى. تصوّر الملحمة حياة ملك مدينة أوروك السومرية، جلجامش في إطار يمزج بين الأسطورة والتاريخ والمروي الشعبي، مما يعكس الاهتمامات الوجودية للحضارة الرافدية مثل الموت والخلود والعدالة. - فراس السواح، جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة: دراسة شاملة مع النصوص الكاملة وإعداد درامي، دار التكوين، دمشق، ط1، 2016، ص. 14.

<sup>2</sup> - مرسيا إلياد، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ج1، ترجمة فريد الزاهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص 121.

<sup>3</sup> - جان بيير فرنان، أصول الفكر اليوناني، ترجمة كمال اليازجي، دار الطليعة، 1982، بيروت، ص. 59-61.

"اللامحدود" (الآبيرون)، وأنكسيمانس، الذي رأى أن الهواء هو العنصر الأول. ما يجمع هؤلاء هو محاولتهم تفسير الكون من داخله، لا من خارجه؛ أي إنهم رفضوا إرجاع الظواهر إلى قوى خارقة أو آلهة متقلبة، وسعوا بدلاً من ذلك إلى بناء فهم عقلائي للطبيعة، قائم على الملاحظة، والتجريد، والعلية.

وبهذا، يمكن القول بأن الفلسفة تمثل تجاوزاً جوهرياً للتفكير الأسطوري، فهي لا تكتفي برفض الأسطورة، بل تؤسس لبديل معرفي يقوم على العقل بدل الخيال، التحليل بدل السرد، والبرهان بدل التسليم وقد فتح هذا التحول الباب أمام نشوء العقل النقدي، ومهد لاحقاً لظهور مناهج البحث العلمي والمنطق الصارم. ومع أن الفلسفة في بداياتها لم تنفصل كلياً عن الموروث الديني أو الأسطوري، فإنها وضعت اللبنة الأولى في مشروع تحرير الفكر الإنساني من هيمنة التفسير الغيبي، وأطلقت ديناميكية التساؤل المستمر، التي ما زالت حية إلى اليوم.

### ثالثاً: الفلسفة ومدى تخلصها من الأسطورة

شكل ظهور الفلسفة في اليونان نقطة تحول حاسمة في مسار الفكر البشري، إذ بدأ الإنسان بالانتقال من التفسير الأسطوري القائم على تدخل قوى خارقة، إلى تفسير عقلائي يستند إلى الملاحظة والعلية. وقد مثل الفلاسفة الطبيعيون مثل طاليس وأنكسيمندر بداية هذا التحول، لكن الموقف من الأسطورة ظلّ يتطور مع الفلاسفة اللاحقين. فأفلاطون، رغم نقده للأساطير التقليدية، استخدم الأسطورة في صيغة رمزية لتعزيز مفاهيمه الفلسفية، كما يتجلى في أسطورة الكهف وأسطورة إير. في المقابل، ذهب أرسطو إلى قطيعة أوضح مع التفكير الأسطوري، رافضاً الاعتماد على الخيال الرمزي، ومؤسساً منهجه على المنطق والتجربة، ما جعل الفلسفة اليونانية تتجاوز الأسطورة من حيث الوظيفة التفسيرية، مع بقاء بعض عناصرها الرمزية في الخطاب الفلسفي<sup>1</sup>.

ورغم التقدّم الفلسفي والعلمي، لم ينته التفكير الأسطوري، بل أعاد إنتاج نفسه بأشكال جديدة تناسب العصر، كالأساطير السياسية التي تُقدّم الزعماء بصيغة بطولية مطلقة، والأساطير الإعلامية التي تروج نظريات المؤامرة والمبالغات. كما يظهر التفكير الأسطوري في الثقافة الاستهلاكية من خلال تسويق رموز تستهدف العاطفة لا العقل. وقد حاولت الفلسفة تفكيك هذا النمط من التفكير عبر النقد والمنهج

<sup>1</sup> - أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت، ص 20-25.

العقلي، لكنها تبقى محدودة الأثر في مجتمعات لا تدعم العقلانية أو حرية التساؤل. وبالتالي، لا تزال الأسطورة حاضرة في الوعي الإنساني المعاصر، والفلسفة تظل أداة ضرورية لمواجهةها، لكنها تحتاج إلى بيئة عقلانية ومؤسسات فكرية حرة كي تُؤتي ثمارها.

**خلاصة:**

تمثل الأسطورة أقدم شكل لتفسير الإنسان للظواهر الطبيعية والاجتماعية، من خلال قصص ورموز تعبّر عن قوى خارقة، بينما جاء ظهور الفلسفة في اليونان القديمة، كتطور فكري انتقل فيه التفكير إلى العقل والمنطق المنهجي، حيث سعى فلاسفة مثل طاليس وأفلاطون وأرسطو إلى فهم العالم عبر التفسير العقلاني المبني على الملاحظة والاستدلال، ورغم تقدم الفلسفة، استمرت الأسطورة في التواجد بصيغ معاصرة ك"أساطير سياسية" و"أساطير إعلامية" تستند إلى العاطفة والخيال، لذا تظل الفلسفة أداة أساسية لمواجهة هذه الظواهر، من خلال ترسيخ الفكر النقدي والثقافة العقلانية في المجتمع.



## المحاضرة الخامسة

### الفلسفة كتفكير منهجي عقلاني

**تمهيد:**

في ظل هيمنة العاطفة والإعلام وتضخم المعلومات مقابل تراجع التفكير، يُطرح تساؤل مهم: هل لا نزال نفكر بعقلانية؟ وهنا تبرز أهمية الفلسفة، لا كتأمل نظري، بل كمنهج عقلاني نقدي لفهم الذات والعالم. فالفلسفة تعارض التلقين والخرافة، وتعتمد على التساؤل والبرهان، وتدعو للفحص والتحرر من الأفكار الجاهزة. ومن هنا سنعمل على إبراز دور الفلسفة كأداة للتفكير الحر والحوار، ومواجهة أنماط التفكير غير العقلاني، سواء كانت دينية متطرفة أو سياسية مضلّة.

**أولاً: الفلسفة كتفكير عقلاني**

الفلسفة ليست مجرد تأمل نظري أو رفاة فكري، بقدر ما هي منهج نقدي عقلاني ومنظم لفهم العالم والذات. ومنذ نشأتها، واجهت الفلسفة الأساطير والخرافات، وحوّلت التلقين إلى تساؤل، والإيمان

الأعمى إلى حجة وبرهان. وهي لا تكتفي بسؤال "ما نعرفه"، بل تبحث عن "كيف نعرف؟ ولماذا نعرف؟" عبر الشك المنهجي والتحرر من المفاهيم الجاهزة. التفكير الفلسفي العقلاني يُبنى على المنطق والحجة والاستدلال، ويهتم بتحليل المفاهيم، تفكيك المسلمات، وبناء المعرفة على أسس عقلانية، متجاوزا الانطباعات الشخصية والتقليد<sup>1</sup>.

ويُستخدم العقل في الفلسفة كأداة منظمة للفهم والتحليل، متجاوزا الانطباعات الشخصية والتقليد الأعمى. فالفلسفة، باعتبارها تفكيرا عقلانياً، لا تقتصر على الالتزام الحرفي بالقواعد المنطقية، بل تنبع من موقف نقدي متسائل يسعى إلى فهم المعاني، وتفكيك المسلمات، ومراجعة ما يُؤخذ غالباً كحقائق بديهية إنها تفكير يمارس مراجعة دائمة لذاته، ويفحص الأسس التي تقوم عليها الأفكار، ويكشف الثغرات أو التناقضات المحتملة في البناء المعرفي.

فالفيلسوف لا يكتفي بظواهر الأشياء، بل ينفذ إلى أعماقها، باحثاً عن جذورها، وسياقاتها ومضامينها الخفية. ومن هنا، فإن العقلانية في الفلسفة ليست عقلانية مغلقة أو جامدة، بل هي عقلانية ناقدة، منفتحة، وحيوية، ترفض التسليم المطلق، وتسعى إلى الحقيقة بمعناها العميق، لا إلى الاكتفاء بما يبدو معقولاً أو مألوفاً على السطح.

### ثانياً: الفلسفة كتفكير منهجي:

الفلسفة تفكير منهجي عقلاني يسعى إلى فهم الوجود والمعرفة والقيم، وقد كان المنهج حاضراً في الفلسفة منذ نشأتها، فقد بدأ التفكير العقلاني في تفسير الظواهر الطبيعية مع الفلاسفة الطبيعيين بعيداً عن الأساطير، مما شكّل أول تطبيق لمنهج يقوم على الملاحظة والبحث عن العلة، أما السفسطائيون فقد سخروا فنون الخطابة لإشهار آرائهم والدفاع عنها، ومع سقراط، أصبح الحوار المنهجي وسيلة لبلورة المفاهيم ثم جاء أفلاطون بمنهج جدلي صاعد نحو المثل، وأدرج في أكاديميته تمارين على المناهج العلمية وطرائق الجدل<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - محمد سيلا، عبد السلام بنعبد العالي، التفكير الفلسفي (دفاتر فلسفية ونصوص مختارة)، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، ط3 2008، ص 41.

<sup>2</sup> - الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 11، 13.

أما أرسطو فقد أسس علم المنطق، وطبق منهجا دقيقا يجمع بين القياس، والاستقراء، والملاحظة مما جعل التفكير الفلسفي منظما منذ بداياته. وقد استمر حضور المنهج في الفلسفة الحديثة، سواء عند الفلاسفة العقليين أو التجريبيين، لتتجلى الفلسفة كتفكير منهجي يعتمد على خطوات واضحة. وتنوعت المناهج بتنوع مواضيع الفلسفة، ما أتاح للفلاسفة حرية اختيار المنهج المناسب لبلوغ الحقيقة. ومنهم من صرح بمنهجه بشكل واضح، ومنهم من عبّر عنه ضمناً في ممارسته الفلسفية. من أبرز المناهج الفلسفية الصريحة منهج ديكارت، الذي صاغه في صورة خطاب مفصّل، وجعله أساساً ملزماً لكل بحث فلسفي أو علمي. وقد بنى منهجه على أربع قواعد رئيسية:

أ- قاعدة البدهة: يرى ديكارت أن المعرفة الحقيقية تستند إلى بدهة العقل، إذ لا ينبغي قبول أي فكرة إلا إذا كانت واضحة ومتميزة تماماً في الذهن، بحيث لا يمكن الشك فيها. ويشدد على ضرورة تجنب التسرع والأحكام المسبقة، فلا يصدر حكماً إلا على ما يدركه العقل بوضوح تام، معتبراً ذلك الأساس اليقيني لكل معرفة صحيحة.

ب- قاعدة التحليل: وفيها يؤكد ديكارت على ضرورة تقسيم المشكلات إلى أجزاء صغيرة، ما يساعد على تحليلها وفهمها بشكل أوضح ومنهجي، وصولاً إلى حلها بأفضل طريقة ممكنة.

ج- قاعدة التركيب: وفيها يدعو ديكارت إلى ترتيب الأفكار بدءاً من الأبسط والأسهل فهماً، ثم التدرج تدريجياً نحو الأفكار الأكثر تعقيداً، لضمان وضوح المعرفة وتنظيمها حتى في غياب ترتيب طبيعي.

د- قاعدة الإحصاء: وعنها يقول ديكارت: أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات كاملة ومراجعات عامة تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئاً<sup>1</sup>.

إن الفلسفة ليست تأملات عشوائية، بل تفكير منهجي منضبط بأدوات عقلية، يهدف إلى بناء معرفة مبررة وعميقة عن الإنسان والعالم.

### ثالثاً: إسهام الفلسفة كتفكير منهجي عقلاني في تطوير الفكر البشري

لقد شكّلت الفلسفة منذ نشأتها خطوة حاسمة في تطور الفكر البشري، إذ حولت التأملات والتفسيرات التقليدية إلى تفكير عقلاني ومنهجي يسعى إلى فهم الواقع بشكل منطقي وموضوعي. كان

<sup>1</sup> - رنيه ديكارت، مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل والبحث عن الحقيقة في العلوم، ترجمة جميل صليبا، موفم للنشر، الجزائر، 2007

لفيلسوف القرن السابع عشر، رينيه ديكارت، دور محوري في هذا التطور، حيث أسس منهج الشك المنهجي الذي يبدأ بتشكيك شامل في المعرفة المتوارثة بهدف الوصول إلى يقين لا يُشك فيه. وقد أكد ديكارت على ضرورة ترتيب الأفكار من الأبسط إلى الأعقد وتقسيم المشكلات إلى أجزاء صغيرة، مما أسس لقاعدة متينة للبحث الفلسفي والعلمي.

وقد ساهمت الفلسفة في ترسيخ الفكر العلمي الحديث، حيث بدأت العلوم تعتمد على مبدأ التجربة والتحقق العقلاني بدلا من التقاليد أو التخمينات غير المبررة. وقدمت الأدوات المنهجية التي تمكن الباحثين من صياغة فرضيات واختبارها بطريقة منهجية وعقلانية، وهو أساس المنهج العلمي الحديث، وقد ساعد التفكير الفلسفي المنهجي في بناء مهارات التحليل والنقد، وهو الأمر الذي يمكن الإنسان من مواجهة التحديات المعرفية والاجتماعية بشكل واع، وبالتالي، يمكن القول إن الفلسفة ليست مجرد تأملات نظرية بل هي عملية منهجية منظمة تهدف إلى بناء معرفة مبررة وعميقة، لها أثر ملموس في تقدم العلوم، وتطوير التفكير النقدي، وتعزيز فهم الإنسان للعالم والحياة.

لقد لعبت الفلسفة دورا محوريا في تشكيل مفاهيم كبرى مثل الحرية، العدالة، والهوية الإنسانية وأسهمت في بناء القيم الأخلاقية التي تستند إليها المجتمعات الحديثة، فقد كان لفلاسفة التنوير مثل إيمانويل كانط وجون لوك إسهامات عظيمة في ترسيخ مبادئ حقوق الإنسان، وحرية الفرد، وضرورة احترام كرامة الإنسان باعتباره غاية في ذاته لا مجرد وسيلة. كما ساعدت الفلسفة السياسية في تحليل بنية السلطة والعلاقات الاجتماعية، ما أتاح ظهور مفاهيم مثل العقد الاجتماعي والدولة المدنية.

من جهة أخرى، ساعدت الفلسفة على تجاوز المظاهر السطحية للواقع، والتفكير في المعاني الأعمق للوجود، والمعرفة، والزمن، والوعي. ففي الفلسفة المعاصرة، على سبيل المثال، طرح مفكرون مثل مارتن هايدغر وميشيل فوكو أسئلة نقدية حول الإنسان، واللغة، والمعرفة، مما وسع أفق التفكير ليشمل تحليلات جديدة للثقافة، والسلطة، والهوية.

إن الطابع الشمولي في التفكير الفلسفي يمثل إحدى السمات الأساسية التي تميز الفلسفة عن باقي أشكال التفكير الإنساني، فهو لا يقتصر على الرغبة في تعميم الأحكام أو صياغة المفاهيم الكبرى، بل يعكس نزوعًا نحو بناء رؤية متكاملة للواقع والوجود. فالفيلسوف لا ينظر إلى الأشياء في انفصالها أو تجزئتها،

وإنما يسعى إلى فهمها في ترابطها ووحدها ضمن منظومة فكرية شاملة، تحاول تفسير العالم والإنسان والحياة وفق نسق واحد من المبادئ.

ومن هذا المنطلق، يتجاوز التفكير الفلسفي حدود التخصص الضيق، ليصبح بحثاً عن العلاقات العميقة التي توحد مجالات المعرفة المختلفة، من الطبيعة إلى الأخلاق، ومن العقل إلى الدين، ومن الفرد إلى المجتمع. فالشمولية هنا تعني القدرة على ربط الجزئيات بالكليات، والمظاهر بالأصول، والظواهر بالمبادئ التي تفسرها.

وبفضل هذا الأفق الواسع، تسعى الفلسفة إلى اكتشاف المعنى الكلي للوجود الإنساني، أي فهم موقع الإنسان في الكون، ودوره في بناء المعنى، وحدود قدرته على المعرفة والفعل. إن هذا الطموح نحو الشمولية لا يعني إلغاء التعدد والاختلاف، بل احتواؤهما ضمن رؤية متماسكة تُبرز وحدة الواقع خلف تنوع مظاهره

وبذلك، يغدو التفكير الفلسفي أداة لتوحيد التجربة الإنسانية وتوجيهها نحو إدراك أعمق للحقائق والمعاني مما يجعل الفلسفة دائماً سعياً مستمراً نحو الانسجام بين العقل والوجود، وبين المعرفة والقيمة، وبين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه.

#### خلاصة:

الفلسفة نشاط عقلي يقوم على التفكير المنهجي والعقلاني؛ في معالجة القضايا الوجودية والمعرفية ويعتمد على التحليل والنقد، وبناء الحجج بدل التسليم بالأفكار الجاهزة، وهي تهدف إلى تنمية الوعي النقدي، وتحرير الفكر من التحيزات والأحكام المسبقة، مما يجعل منها أداة فعالة لفهم الذات والعالم بعمق واتزان.



## المحاضرة السادسة

### الفلسفة والثقافة والطبيعة

تمهيد:

منذ أن بدأ الإنسان في طرح الأسئلة، كان يعيش بين قوتين أساسيتين: الطبيعة التي تحيط به والثقافة التي يُنتجها لفهم العالم والتأقلم معه. وبين هاتين القوتين، نشأت الفلسفة كحاجة إنسانية لفهم الذات والعالم، للسؤال عن الأصل والمعنى، ولرسم العلاقة بين ما هو طبيعي وما هو مكتسب. وسنحاول الغوص في أعماق هذه المفاهيم الثلاثة، ونفهم كل منها على حدة، ثم نتبع العلاقات الجدلية التي تجمع بينها وهذا عبر طرحنا لجملة من التساؤلات، وأبرزها: هل الإنسان كائن طبيعي أم ثقافي؟ وهل الفلسفة هي مجرد تأمل مجرد، أم أنها أداة لفهم موقعنا بين الطبيعة والثقافة؟

**أولاً: مدخل مفاهيمي:**

يُعدّ ضبط المفاهيم أساساً لفهم أي إشكال فلسفي، وقد تمّ سابقاً ضبط مفهوم الفلسفة باعتبارها نشاطاً عقلياً ومنهجياً يقوم على التأمل العقلي والنقدي، ويهدف إلى مساءلة الوجود والمعرفة والقيم. غير أن الإشكال لا يزال قائماً بخصوص مصطلحي الثقافة والطبيعة، لما لهما من دلالات متشعبة وتداخلات معقدة. فـ"الثقافة" لم تعد تقتصر على المعارف والعلوم فحسب، بل أصبحت تشمل كل ما هو مكتسب من عادات وقيم وتقاليد، في حين أن "الطبيعة" تُحيل إلى ما هو فطري وتلقائي في الإنسان، ومن هنا تبرز أهمية التمييز الدقيق بين هذين المفهومين لفهم الإنسان، وحدود ما هو طبيعي فيه وما هو ثقافي مكتسب خاصة في ظل النقاشات الفلسفية؛ التي تسعى إلى تحديد ماهية الإنسان بين الضرورة الطبيعية والحرية الثقافية.

**1- مفهوم الثقافة:** تشير الثقافة في اللغة إلى الخفة والنباهة والفتنة<sup>1</sup>، فيقال ثقف الرجل ثقافة صار حاذقاً وثقفت الشيء حذقته، والرجل المثقّف: الحاذق الفهم، وغلام ثقف: أي ذو فتنة ودكاء، والمقصود أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص218.

<sup>2</sup> - جميل صليبا. المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982، ص378.

والثقافة هي ذلك الإطار العام؛ الذي يشمل مجموع المعارف والمعتقدات والقيم والعادات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع، وهي تمثل الجوهر المعنوي لحياة الإنسان، في حين تُعد الحضارة المظهر المادي لتلك الثقافة، أي التحليلات العملية لما يؤمن به المجتمع ويطبّقه. وقد عرّف العالم الأنثروبولوجي إدوارد تايلور الثقافة بأنها "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وأي قدرات وعادات يكتسبها الإنسان بوصفه عضوًا في المجتمع"<sup>1</sup>، مشيرًا بذلك إلى شمولية الثقافة واتساع نطاقها. ومن هنا، فإن العلاقة بين الثقافة والحضارة علاقة تكاملية، حيث تشكل الثقافة الأساس الذي تُبنى عليه الحضارات، وتعكس الحضارة بدورها مدى تطور الثقافة في مجتمع معين.

وفي السياق العربي الحديث، يُعدّ مصطلح "ثقافة" مستوردًا من الكلمة الإنجليزية "Culture"، وبدأ استخدامه في أوائل القرن العشرين، خاصة على يد المفكر سلامة موسى، الذي استعمله ضمن مشروعه التحديثي متأثرًا بأفكار ابن خلدون. ومع الوقت، استقر معنى "الثقافة" في الوعي العربي كمجموعة المعارف والعلوم والفنون التي تهدف إلى تنمية الفكر وصقل الذهن، وكانت تُستمد أساسًا من الكتب والمصادر التعليمية<sup>2</sup>.

## 2- مفهوم الطبيعة:

تشير الطبيعة في أصلها اللغوي إلى الطبع والفطرة والخلق والسجية، أي ما جبل عليه الإنسان أو الكائن منذ نشأته، وما يصدر عنه تلقائيًا دون تكلف. وهي في جانب آخر تُعبّر عن مزاج الإنسان المركّب من الأخلاط الأربعة، كما تصوّرها الطب القديم، وهي: الحرارة، البرودة، الرطوبة، واليبوسة، التي اعتُبرت أساسًا لفهم توازن البدن وطباع النفس<sup>3</sup>، وبهذا يمكننا القول أن الطبيعة تتضمن ما هو غريزي وجوهري في الكائنات، من خصائص وصفات تجعل لكل كائن طبائع تميّزه عن غيره، سواء أكان ذلك في المستوى الجسدي، النفسي، أو الكوني.

<sup>1</sup> - دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007 ص30.

<sup>2</sup> - نصر محمد عارف، الحضارة-الثقافة- المدنية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط2. 1994 ص27.

<sup>3</sup> - <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/#طبيعة> google vignette .

معجم المعاني، على الرابط:

تاريخ الاطلاع: 2024/08/24.

أما اصطلاحاً فتُعرّف الطبيعة بأنها القوة الكامنة في الموجودات، والتي بها يبلغ الشيء كماله الخاص به. وهي مبدأ التغير والثبات الذاتي في الكائنات، أي أنها ما يجعل الحجر يسقط، والنار ترتفع، من دون تدخل خارجي. وتُستخدم الطبيعة أيضاً للدلالة على ماهية الشيء وصفاته النوعية، مثل "طبيعة الإنسان" أو "طبيعة الحياة"، وتشير كذلك إلى الصفات الفطرية في الإنسان، سواء كانت عقلية أو حسية. وفي سياق أوسع، تعبّر الطبيعة عن النظام العام للكون وقوانينه، وتُقابل بذلك المصادفة أو الفعل العبثي، كما تُفهم أحياناً بوصفها كل ما هو مألوف في مقابل ما هو خارق. وقد تطورت دلالاتها في الفلسفة الحديثة لتشير إلى مصدر القيم والمعايير الأخلاقية، كما في مفهوم "الحق الطبيعي"<sup>1</sup>.

وتعتبر الطبيعة بمثابة النطاق؛ الذي يوجد فيه الإنسان قبل أن يكون ثقافته ومجتمعها. وقد عرّفها الفلاسفة بأنها مجموع القوانين والنظم التي تحكم الوجود المادي، أو ما يوجد بذاته دون تدخل من العقل البشري. ومن ثم، تُفهم الطبيعة على أنها الأصل الذي تُقابله الثقافة بوصفها نتاجاً إنسانياً.

### ثانياً: العلاقة بين الفلسفة والثقافة والطبيعة

تُشكّل العلاقة بين الفلسفة والثقافة والطبيعة محورا أساسياً في فهم الوجود الإنساني. فهذه المفاهيم الثلاثة ليست مجرد مجالات منفصلة، بل هي مكونات متداخلة تُعبّر عن تطوّر الإنسان من كائن طبيعي إلى كائن ثقافي، عبر أدوات الفهم الفلسفي.

وتُعدّ العلاقة بين الثقافة والطبيعة، من الإشكالات الأساسية في الفلسفة والعلوم الإنسانية. فالإنسان كائن طبيعي من حيث التكوين البيولوجي، لكنه أيضاً كائن ثقافي يُنتج اللغة والقيم والفنون. وكل فعل إنساني هو فعل بيولوجي وفعل ثقافي، فالكثير من الأفعال التي تبدو طبيعية، مثل الأكل والنوم وحتى الضحك تختلف في أشكالها وتمظهراتها من ثقافة إلى أخرى؛ فابتسامة الياباني ليست كابتسامة الأمريكي مما يعني أن الثقافة تُطوّع السلوك الطبيعي، وتُعيد تشكيله وفق معاييرها الخاصة<sup>2</sup>.

ويقدم كلود ليفي ستراوس معياراً لتمييز ما هو طبيعي عن ما هو ثقافي، بالقول إن "الكوني طبيعي والنسبي ثقافي"<sup>3</sup>، فمثلاً، الميل الجنسي غريزة طبيعية، لكن نظم الزواج وتنظيم العلاقات الجنسية تخضع

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د.ط، 1982، ص13، 14.

2- محمد سيلا، إبراهيم بن علي، الطبيعة والثقافة، الشركة المغربية لتوزيع الكتاب، ط1، 1999، ص13، 14.

3- كلود ليفي-ستراوس، البنى الأولية للقرابة، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983، ص. 17، 18.

للتقافة والتقاليد، وتتضح مركزية هذه العلاقة أيضًا في فكر إدغار موران، الذي يرى أن الإنسان لا يمكن فهمه إلا من خلال مفهوم "الكائن البيوثقافي"، حيث تتشابك الطبيعة والثقافة في كل سلوك إنساني ويظهر ذلك في الأكل، النوم، البكاء، الضحك..، وهو ما يبيّن استحالة الفصل التام بين ما هو فطري وما هو مكتسب<sup>1</sup>.

ويرى جان جاك روسو أن الإنسان في طبيعته الأولى كان كائنًا خيرًا وبريئًا، يعيش في انسجام مع الطبيعة، خاليا من الفساد والطمع، وأن هذا "الإنسان الطبيعي" كان يتمتع بالحرية والاستقلال. غير أن تطور الثقافة والمجتمع، وما تبعه من نمو المؤسسات المدنية والاجتماعية، أدى إلى انحراف الإنسان عن فطرته الأصلية. فالثقافة - بحسب روسو - كانت سببًا في نشوء التفاوت الاجتماعي والأناية، إذ إنهما زادت من الفروق بين الناس، وعززت الملكية الخاصة، وأفسدت البساطة الفطرية التي كانت تميز الإنسان الطبيعي وبذلك، فإن روسو يقيم تعارضًا جوهريًا بين الطبيعة والثقافة، حيث يرى أن الثقافة ليست تطورا تقدميًا بل انحرافا عن حالة الكمال الأصلي الذي كان عليه الإنسان في الطبيعة<sup>2</sup>.

وتُظهر هذه المواقف الفلسفية، كيف أن الفلسفة هي المجال الذي يُفكك ويُحلل العلاقة المعقدة بين ما هو طبيعي وما هو ثقافي، لا من أجل الفصل بينهما، بل لفهم كيف يتفاعل الإنسان مع العالم. فالطبيعة تمثل الأصل المادي للوجود، والثقافة تعكس إبداع الإنسان في تنظيم حياته وفهم العالم، أما الفلسفة، فهي الأداة التي تساعدنا على مساءلة هذه العلاقة وإعادة توجيهها أخلاقياً ووجودياً. وفي ظل الأزمات البيئية والتقدم التكنولوجي المعاصر، تعود الأسئلة الفلسفية بقوة: هل نحن جزء من الطبيعة أم أسياد عليها؟ وهل الثقافة يجب أن تسعى للسيطرة على الطبيعة، أم للانسجام معها؟ تلك هي الأسئلة التي تجعل من الفلسفة ضرورةً لفهم مستقبلنا.

### ثالثاً: تحولات العلاقة بين الفلسفة والطبيعة والثقافة في السياق المعاصر:

شهدت العلاقة بين الفلسفة والطبيعة والثقافة في السياق المعاصر؛ تحولات جوهرية تعكس التغيرات الفكرية والعلمية التي طرأت على تصور الإنسان للعالم وموقعه فيه. فقد أصبحت الطبيعة تُفهم لا كمجال

<sup>1</sup> - إدغار موران، منهجية الفكر المركب، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 2008، ص 45.

<sup>2</sup> - جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين الناس. ترجمة: عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص 25،

خارجي مستقل عن الإنسان، بل كعنصر متفاعل ومتداخل مع الثقافة والوعي البشري، خصوصًا في ظل تصاعد الأزمات البيئية والتغير المناخي، مما دفع إلى إعادة التفكير في المركزية الإنسانية كما في فلسفات ما بعد الإنسانية<sup>1</sup>.

ومن جانب آخر، لم تعد الثقافة تُفهم كعنصر منفصل عن الطبيعة أو متعارض معها، بل كامتداد لها وتشكيل لها عبر اللغة، والتقنيات، والمؤسسات الاجتماعية. فالفلاسفة المعاصرون - مثل ميشيل فوكو ودونا هاراوي وبرونو لاتور- سعوا إلى تفكيك الثنائيات التقليدية بين الطبيعي/الثقافو البيولوجي/الاجتماعي مبرزين أن الإنسان ككائن ثقافي هو أيضًا نتاج طبيعي<sup>2</sup>.

أما الفلسفة، فقد تطورت من كونها خطابًا تأمليًا محضًا؛ إلى حقل معرفي منفتح على العلوم والتكنولوجيا والبيئة، يشترك مع قضايا مثل الذكاء الاصطناعي، البيوتكنولوجيا، مما جعلها تعيد النظر في مفاهيم مثل "الذات"، و"الحرية"، و"الهوية"، و"المعرفة".

وبهذا يمكننا القول أن العلاقة بين الفلسفة، الطبيعة، والثقافة قد أصبحت في الفلسفة المعاصرة علاقة تفاعلية معقدة تتجاوز التقابلات الثنائية، وتهدف إلى فهم الإنسان ككائن بيولوجي-ثقافي في شبكة من العلاقات مع الطبيعة والتقنية والمعرفة.

#### خلاصة:

تُعدّ الفلسفة وسيلة لفهم الإنسان لذاته وللعالم، إذ تطور الفكر من الأسطورة إلى العقل والعلم. أما الثقافة فهي مجال تفاعل المعرفة والقيم، وتُسهّم الفلسفة في توجيه العلاقة بين الإنسان والطبيعة، من خلال ترسيخ الوعي والمسؤولية البيئية وتحقيق التوازن بين التقدم والحفاظ على البيئة.



<sup>1</sup> - راسيغليا فرانثيسكا، ما بعد الإنسانية: الفلسفة في عصر التقنية الحيوية والذكاء الاصطناعي، ترجمة: نادر كاظم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021، ص 33 وما بعدها.

<sup>2</sup> - ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 15 وما بعدها.

## المحاضرة السابعة

### الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية

تمهيد:

ظلّ الإنسان منذ القدم منشغلاً بالحقيقة، ساعياً إلى فهم مغزى وجوده ومعناه. وقد تعددت سبل إدراك الحقيقة بين ما يُستمدّ من الإيمان الديني، الذي يُقدّم الحقيقة بوصفها يقينا مصدره الوحي، وبين ما تسعى إليه الفلسفة عبر العقل والتفكير النقدي. ورغم أن المجالين يلتقيان في طرح الأسئلة الكبرى حول الوجود، فإن اختلاف مناهجهما ومصادر معرفتهما يطرح إشكالاً جوهرياً: هل يمكن التوفيق بين الدين والفلسفة على أساس أن الحقيقة واحدة تُدرك بوسائل متعدّدة؟ أم أن بينهما تعارضاً لا يمكن تجاوزه؟

#### أولاً: مفهوم الحقيقة في الدين والفلسفة

الحقيقة في اللغة مأخوذة من مادة "حقّ"، وتدلّ على الثبوت واللزوم، وقد ورد في لسان العرب أن الحقيقة ما أُفِرَّ في الاستعمال على أصل وضعه اللغوي، بخلاف المجاز الذي يحتاج إلى قرينة لصرف اللفظ عن معناه الأصلي<sup>1</sup>.

وفي الدين تُعدّ الحقيقة فرعاً من فروع دلالة الألفاظ في علم أصول الفقه، وتُعرف بـ"الحقيقة الشرعية" وهي اللفظ الذي نقله الشارع من معناه اللغوي إلى معنى مخصوص في الخطاب الديني، بحيث صار يُفهم منه المعنى الشرعي عند الإطلاق دون قرينة. مثال ذلك: لفظ "الصلاة"، ففي اللغة تعني الدعاء، ولكنها شرعاً تدل على عبادة مخصوصة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، وهذا النقل يُسمى حقيقة شرعية<sup>2</sup>.

وقد ذهب جمهور الأصوليين إلى أن الألفاظ الشرعية إذا وردت في نصوص الشريعة، فإنها تُحمل على معناها الشرعي لا اللغوي، لأن الشارع أضاف إليها شروطاً وأركاناً لم تكن موجودة في أصلها اللغوي وهذا ينطبق على ألفاظ مثل "الزكاة" و"الصيام" و"الحج" أيضاً<sup>3</sup>. ويُشترط في نقل اللفظ إلى الحقيقة الشرعية

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج 10، مادة "حقّ"، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت، ص85.

<sup>2</sup> - أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج1، تحقيق عبد العظيم الديب، دار الوفاء، مصر، ط2، 1418هـ، ص145.

<sup>3</sup> - وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، دمشق، ط3، 2003م، ص312.

أن يكون قد شاع بين المسلمين في عصر التشريع واستُعمل في ذلك المعنى بكثرة، وهو ما رجّحه الإمام الجويني والآمدي وغيرهما من المتقدمين<sup>1</sup>.

وتُعد الحقيقة في الفلسفة من المفاهيم المركزية؛ التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وقد اختلف الفلاسفة في تحديد معناها ومعياري صدقها. فعند أفلاطون، الحقيقة هي مطابقة المعرفة لعالم المثل، وهي عالم ثابت ومتعالٍ عن الإدراك الحسي، بينما اعتبر أرسطو أن الحقيقة تقوم على مطابقة الحكم للواقع، أي أن قولنا "الثلج أبيض" يكون صادقاً إذا كان الثلج بالفعل كذلك<sup>2</sup>، وفي الفلسفة الحديثة، ميّز ديكارت بين الحقيقة اليقينية القائمة على الحدس العقلي، والحقيقة الظنية القائمة على التجربة، بينما رأى كانت أن الحقيقة ليست مطابقة للشيء في ذاته، بل لما يظهر للذهن وفق شروط المعرفة القبلية<sup>3</sup>.

أما في الفلسفة المعاصرة، فقد تعددت نظريات الحقيقة، فمنها نظرية المطابقة، التي ترى الحقيقة مطابقة بين التصورات والواقع، ونظرية التناسق، التي تقيس صدق القضية بانسجامها مع نسق معرفي ونظرية البراغماتية التي تربط الحقيقة بنتائجها العملية، كما عند وليام جيمس وجون ديوي<sup>4</sup>.

#### ثانياً: أوجه التلاقي والاختلاف بين الحقيقة الدينية والفلسفية

رغم اختلاف منطلقات كلٍّ من الفلسفة والدين، إلا أن بينهما أوجه تلاقٍ في مفهوم الحقيقة خصوصاً من حيث السعي إلى إدراك ما هو ثابت وأصيل في الوجود والمعرفة. فالدين، من خلال نصوصه المقدسة يُقدّم الحقيقة على أنها وحيٌّ إلهيٌّ مُنرّه عن الخطأ، يهدف إلى هداية الإنسان إلى معرفة الحق في العقيدة والسلوك، مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ (الحج الآية 6)، مما يدل على أن الله هو مصدر الحقيقة ومقياسها المطلق<sup>5</sup>.

أما الفلسفة، فرغم اختلاف مدارسها، فإنها تشترك مع الدين في البحث عن الحقيقة الكلية، وإن اختلفت في أدوات الوصول إليها، فهي تعتمد على العقل والتجربة والمنطق. لكن العديد من الفلاسفة

<sup>1</sup> - الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 2003م، ص134.

<sup>2</sup> - عبد السلام بنعبد العالي، الحقيقة، منشورات كتاب في جريدة، سلسلة الفكر الفلسفي، العدد 123، 2008م، ص12-14.

<sup>3</sup> - محمد سيلا، الحدائنة والتواصل في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005م، ص97-99.

<sup>4</sup> - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1984م، ص453-457.

<sup>5</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج17، الدار التونسية للنشر، ط1، 1997م، ص86.

سعوا إلى التوفيق بين الحقيقة العقلية (الفلسفية) والحقيقة النقلية (الدينية)، معتبرين ألا تعارض بينهما إذا فهم النص على ضوء العقل السليم.

وقد شهد كل من الفكر الإسلامي والمسيحي، محاولات جادة للتوفيق بين الحقيقة الدينية المستندة إلى الوحي والحقيقة الفلسفية المستندة إلى العقل، وقد برز في هذا الاتجاه فلاسفة مسلمون مثل الفارابي الذي رأى أن الدين والفلسفة يشتركان في الغاية، وإن اختلفا في الوسيلة؛ فالدين يخاطب العامة بالرموز بينما تخاطب الفلسفة النخبة بالبرهان، وهو ما نظّره في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة<sup>1</sup>. كما سعى ابن سينا إلى إثبات التوافق بين المعارف العقلية والنصوص الدينية، لكنه واجه نقدًا من علماء الكلام بسبب بعض آرائه في الإلهيات<sup>2</sup>.

أما ابن رشد، فكان أكثر وضوحًا في دعوته إلى المصالحة بين "الحكمة والشريعة"، مؤكدًا أن الحقيقة واحدة، وإن اختلفت طرق الوصول إليها<sup>3</sup>. وفي السياق المسيحي، اعتبر القديس أوغسطين أن العقل خادِم للإيمان، وأن الإيمان شرط أولي للفهم، بينما أكد توما الأكويني إمكانية التلاقي بين العقل والوحي، حيث قسم الحقيقة إلى قسمين: ما يمكن للعقل بلوغه، وما لا يُعرف إلا بالوحي، معتبرا أن كلاهما من عند الله ولا يمكن أن يتناقضا<sup>4</sup>، وتوضح هذه الرؤى أن التلاقي بين الفلسفة والدين لم يكن تنازلاً من أحد الطرفين بل رغبة في توحيد مصادر المعرفة وتأكيد أن الحقيقة، مهما اختلفت مسالكها، فهي واحدة.

وهكذا يمكن القول أن كلا من الدين والفلسفة يسعى إلى إدراك الحقيقة المطلقة، وتفسير الوجود وتحقيق غايات أخلاقية، كتهذيب النفس وتنظيم المجتمع على أسس العدل والخير. غير أن الفارق بينهما يكمن في المنهج؛ فالدين يعتمد على الإيمان والوحي، بينما تركز الفلسفة على العقل والبرهان. كما يختلف أسلوب الخطاب؛ إذ يستخدم الدين لغة رمزية موجهة للعامة، في حين تتبنى الفلسفة لغة تحليلية موجهة

1- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضاداتها، تحقيق: البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط2، 1986م، ص42-45.

2- ابن سينا، الشفاء، ج2- الإلهيات، تحقيق: إبراهيم مذكور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1969م، ص233-236.

3- ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1983م ص55-57.

4- توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة جوزف زرعيتي، المكتبة البولسية، بيروت، ط1، 1973، ص89-91.

للنخبة. ورغم هذا الاختلاف، حاول مفكرون كابن رشد وتوما الأكويني التوفيق بين الإيمان والعقل، انطلاقاً من أن الحقيقة واحدة، وإن اختلفت طرق الوصول إليها.

### 3. تحولات مفهوم الحقيقة في السياق المعاصر

شهد مفهوم الحقيقة في العصر المعاصر تحولات جذرية؛ بفعل التطورات الفكرية والثقافية والاجتماعية التي أثرت على النظرة التقليدية للحقيقة بوصفها مطلقة وثابتة وموضوعية. ففي الفلسفة الحديثة، وخصوصاً منذ عصر التنوير، بدأ الانتقال من تصور الحقيقة كـ"مطابقة بين الفكر والواقع" إلى مفاهيم أكثر تعقيداً مثل الحقيقة النسبية والسياقية والاجتماعية، وأصبحت الحقيقة تُفهم بشكل متزايد على أنها نتاجٌ للتاريخ والثقافة واللغة، وليست جوهرًا مستقلاً قائماً خارج الوعي. فمثلاً، يرى التيار البنيوي أن الحقيقة تتشكل داخل بني لغوية ومعرفية تتحكم في إدراك الإنسان للعالم، بينما يؤكد التيار ما بعد البنيوي وما بعد الحدائي (مثل ميشيل فوكو وجاك ديريدا) أن الحقيقة ليست انعكاساً موضوعياً للواقع، بل هي خطاب مهيمن تفرضه السلطة والمعرفة عبر مؤسسات مثل التعليم والإعلام والدين، ما يجعل الحقيقة قابلة للتأويل والتعدد والتفكيك<sup>1</sup>، وقد تم تجاوز التصورات الميتافيزيقية والأخلاقية الكلاسيكية للحقيقة، لصالح مقاربات تؤمن بأن الحقيقة تتحدد ضمن سياقات اجتماعية وسياسية متغيرة.

وفي المقابل، برزت أيضاً تيارات تحاول إعادة الاعتبار للعقلانية والواقع، مثل بعض اتجاهات الفلسفة التحليلية والبراغماتية المعاصرة، التي ترى أن الحقيقة تظل مرتبطة بالفاعلية العملية أو بالاتساق مع التجربة والنتائج، كما هو الحال عند ريتشارد رورتي، الذي دعا إلى تجاوز الهوس بالحقيقة المطلقة لصالح "تضامن ثقافي"، يتوافق عليه المجتمع بدلاً من البحث عن يقين نهائي<sup>2</sup>.

كما أثرت تطورات العلوم والتكنولوجيا على تصور الحقيقة، حيث أُعيد النظر في مفاهيم اليقين والموضوعية، مع بروز مفاهيم مثل "الحقيقة العملية" و"الحقيقة التجريبية"، التي تخضع للمعاينة والاختبار المستمر، وبالتالي فإن مفهوم الحقيقة المعاصر هو مفهوم متعدد الأبعاد، يجمع بين الأبعاد الفلسفية والاجتماعية، واللغوية، والعلمية، ويؤكد على أهمية السياق والمرجعية في تحديد ماهية الحقيقة، مما يفتح المجال لفهم أكثر ديناميكية وتفاعلية للحقيقة.

<sup>1</sup> - ميشيل فوكو، الخطاب والسلطة، ترجمة سعيد عبد الفتاح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ص 45-49.

<sup>2</sup> - جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة عادل عقل، دار الطليعة، بيروت، 1994م، ص 30-35.

## خلاصة:

وننتهي في الأخير إلى التأكيد على أن الحقيقة الدينية، والحقيقة الفلسفية تلتقيان في غايات كبرى مشتركة كالبحث عن المعنى، وفهم الوجود وتهذيب الإنسان، لكنهما تختلفان في المصدر والمنهج؛ فالحقيقة الدينية تنبع من الوحي والإيمان، وتُقدّم كيقين مطلق يستند إلى سلطة إلهية. أما الحقيقة الفلسفية فتعتمد على العقل والبرهان، وتبقى مفتوحة للتأمل والنقاش. وعلى الرغم من هذا التباين، فإن العديد من المفكرين أكدوا إمكانية تكامل العقل والنقل باعتبار أن الحقيقة لا تتعدد، بل تتنوع سبل الوصول إليها.



## المحاضرة الثامنة

### التفكير الفلسفي والتفكير العلمي

#### تمهيد:

منذ أن بدأ الإنسان يعي وجوده ويتأمل في العالم من حوله، نشأت لديه حاجتان أساسيتان إحداهما هي الرغبة في الفهم العميق لمعاني الوجود، والحياة، والمصير، وهي ما عبّر عنها من خلال التفكير الفلسفي؛ والأخرى هي الرغبة في تفسير الظواهر الطبيعية، والتحكم فيها، وتحسين ظروف الحياة، وهي ما عبّر عنها من خلال التفكير العلمي. ومع تطور الفكر البشري، بدأ أن هذين النوعين من التفكير يعبران عن طريقتين مختلفتين في النظر إلى الواقع: فهل هما متعارضان أم متكاملان؟ هل الفلسفة تبحث في قضايا لا طائل منها كما يظن البعض؟ وهل العلم كافٍ لفهم كل شيء؟ وهل يمكن للعقل أن يوازن بين التأمل الفلسفي والدقة العلمية؟ وسنحاول المقارنة بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي، من خلال استكشاف أوجه التشابه والاختلاف بينهما، ثم نتوقف عند طبيعة العلاقة التي تربطهما في بناء المعرفة الإنسانية.

#### أولاً- أوجه التشابه بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي

يؤكد برتراند راسل في كتابه مشكلات الفلسفة، أن المعرفة الفلسفية ليست مختلفة جوهرياً عن المعرفة العلمية من حيث الأدوات التي تستخدمها، إذ تعتمد كليهما على العقل والتجربة. ومع ذلك، فإن الفلسفة تميز نفسها بطابعها النقدي، إذ تعيد فحص المبادئ الأساسية التي تستند إليها العلوم والحياة وترفض المطالبات الميتافيزيقية الكبرى التي لا يمكن إثباتها أو تدقيقها عقلياً أو تجريبياً. كما يشير راسل إلى أن

الفلسفة لا تستطيع ممارسة شك مطلق يبدأ من عدم وجود أي معرفة سابقة، لأن هذا النوع من الشك يجعل التفكير نفسه مستحيلاً، بل تعترف بالشك المنهجي الذي يستخدمه ديكرت كأساس للتأمل النقدي. في النهاية، يبرز راسل أن حدود المعرفة الفلسفية تكمن في قدرتها على الموازنة بين القبول العقلائي لما يصمد أمام التدقيق، ورفض المطالبات التي تتجاوز إمكانات العقل والتجربة<sup>1</sup>.

ويتميز كل من التفكير الفلسفي والتفكير العلمي بوجود منهج منظم، وإن اختلفت طبيعته فالفيلسوف يستخدم المنهج العقلي التأملي والنقدي، بينما يعتمد العالم على المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والتحقق العلمي<sup>2</sup>. كما أنهما يشتركان في القدرة على التجريد، إذ يقوم الفيلسوف بتجريد المفاهيم الكلية مثل العدالة والحرية، ويجرد العالم الظواهر إلى نماذج وقوانين رياضية<sup>3</sup>.

وهكذا يمكننا القول، بأن كلا من التفكير الفلسفي والتفكير العلمي يعد نشاطاً عقلياً منظماً، يقوم على منهج واضح، وإن اختلفت طبيعته في كل منهما. فالفيلسوف يعتمد على المنهج العقلي التأملي والنقدي، الذي يُمكنه من تحليل المفاهيم المجردة والغوص في معانيها الكلية كالحقيقة والحرية والعدالة، بينما يركز العالم على المنهج التجريبي القائم على الملاحظة والتحقق والاستدلال العلمي لصياغة النظريات والقوانين، وعلى الرغم من هذا الاختلاف المنهجي، يشترك كلا النوعين من التفكير في القدرة على التجريد إذ يُجرد الفيلسوف الأفكار من جزئياتها لبلوغ معناها الكلي، ويُجرد العالم الظواهر الطبيعية من تفاصيلها ليحوّلها إلى نماذج وقوانين رياضية تفسر الواقع وتضبطه، وهذا يبيّن أن التفكير العقلي المنظم والتجريد هما عنصران أساسيان في كل من الفلسفة والعلم، وإن اختلفت غايات كل منهما.

ولا يمكن إغفال دور كل من الفلسفة والعلم في تطور الحضارة الإنسانية؛ فالفلسفة أرست قواعد المنطق والأخلاق والسياسة، بينما مكّن العلم الإنسان من السيطرة على الطبيعة، عبر التكنولوجيا والطب والتقنيات الحديثة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - برتراند راسل، مشكلات الفلسفة، مكتبة أنوار التوحيد، ط1، 2016، ص151.

<sup>2</sup> - برتراند راسل، المرجع السابق، ص12.

<sup>3</sup> - يحيى طريف الخولي، الفلسفة والعلم في العصر الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005، ص44.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص53.

## ثانياً- أوجه الاختلاف بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي

رغم اشتراك التفكير الفلسفي والتفكير العلمي في عدد من الخصائص، إلا أن بينهما اختلافات جوهرية تتعلق بالمجال والمنهج والهدف وطبيعة النتائج. فالتفكير الفلسفي يهتم بالقضايا الكلية والمفاهيم المجردة مثل الوجود، الحقيقة، الأخلاق، والحرية، بينما يركّز التفكير العلمي على الظواهر الطبيعية والمادية القابلة للملاحظة والقياس<sup>1</sup>.

فمن حيث المنهج، يعتمد التفكير الفلسفي على التأمل العقلي، والجدل، والاستنباط، دون الحاجة دائماً إلى التحقق التجريبي. في المقابل، يركز التفكير العلمي على الملاحظة، وصياغة الفرضيات والتجريب، والاستنتاج القائم على الوقائع<sup>2</sup> وهذا ما يجعل نتائج العلم قابلة للتكرار والاختبار، في حين أن نتائج التفكير الفلسفي غالباً ما تظل مفتوحة للنقاش ولا تخضع للبرهنة التجريبية.

أما من حيث لغة الخطاب، فالفلسفة تستخدم لغة مفاهيمية تجريدية، تميل إلى العمق والتحليل، بينما يستخدم العلم لغة رمزية وكمية (كالمعادلات والنماذج الرياضية)<sup>3</sup>، ويهدف التفكير الفلسفي إلى الوصول إلى الفهم العميق والمعنى، في حين يسعى التفكير العلمي إلى التفسير الدقيق والتنبؤ والتحكم؛ فالفلسفة تُعنى بطرح الأسئلة الكبرى المتعلقة بالوجود والمعرفة والقيم، وتسعى إلى بناء رؤى شاملة، بينما يركّز العلم على دراسة الظواهر الطبيعية بشكل منهجي، من خلال الملاحظة والتجريب، بهدف صياغة قوانين يمكن تعميمها وتطبيقها عملياً<sup>4</sup>.

فالفلسفة تعتمد على لغة مفاهيمية وتجريدية؛ تهدف إلى الغوص في أعماق الأسئلة الكبرى مثل الوجود والمعرفة والقيم، مما يسمح بالتحليل النقدي والتأمل الشامل وبناء رؤى فلسفية متكاملة تتجاوز حدود التجربة الحسية المباشرة. في المقابل، يستخدم العلم لغة رمزية وكمية، مثل المعادلات والنماذج

<sup>1</sup>- يعني طريف الخولي، المرجع السابق، ص18.

<sup>2</sup>- كارل بوبر، منطق البحث العلمي، ترجمة: محمد البغدادي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1 2006، ص605.

<sup>3</sup>- برتراند راسل، مشكلات الفلسفة، مرجع سابق، ص 72.

<sup>4</sup>- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 2007، ص109.

الرياضية، لأنها أدوات دقيقة تسمح بالتفسير المنهجي للظواهر الطبيعية، وتوفر القدرة على التنبؤ والتحكم من خلال الملاحظة والتجريب. التفكير العلمي أكثر تخصصًا وهدفه تطبيق المعرفة بشكل قابل للقياس والتحقق العملي. مع ذلك، الفلسفة والعلم لا يتناقضان بل يكمل كل منهما الآخر، حيث توسع الفلسفة آفاق التفكير وتحفز التساؤل النقدي، بينما يقدم العلم نتائج دقيقة يمكن اختبارها عمليًا، مما يثري المعرفة الإنسانية ويعزز فهمنا للعالم بطرق مختلفة ومتنوعة.

### ثالثاً- طبيعة العلاقة بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي

ليست العلاقة بين التفكير الفلسفي والتفكير العلمي؛ علاقة تعارض أو قطيعة كما قد يتوهم البعض بل هي علاقة تفاعل وتكامل تاريخيًا ووظيفيًا. فقد نشأ العلم الحديث داخل أحضان الفلسفة، وكان العلماء الأوائل - مثل أرسطو وجاليليو وديكارت - فلاسفة في الأصل، استخدموا أدوات التفكير الفلسفي لطرح أسئلتهم قبل تطوير المناهج العلمية.

من الناحية الوظيفية، تقوم الفلسفة بدور تأسيسي من حيث طرح الأسئلة الكبرى وتوضيح الإشكالات المفاهيمية، وهو ما يمهد الطريق أمام البحث العلمي؛ فالكثير من التخصصات العلمية - مثل الفيزياء النظرية والذكاء الاصطناعي - بدأت بأسئلة فلسفية قبل أن تصبح مجالات علمية دقيقة<sup>1</sup>. كما تلعب الفلسفة دوراً نقدياً وأخلاقياً تجاه العلم، إذ تراجع مناهجه، وتناقش نتائجه، وتحاكمه من منظور القيم والمسؤولية الإنسانية، خاصة في قضايا حساسة مثل التجارب الجينية، أو استخدام التكنولوجيا في الحروب، أو أخلاقيات الذكاء الاصطناعي.

وعلى الجانب الآخر، قدّمت العلوم الحديثة معطيات دقيقة ساعدت الفلاسفة على تعديل تصوراتهم حول مفاهيم كالزمن، والمكان، والمادة، والوعي، وهو ما يدل على أن الفكر العلمي لا يُغني عن الفلسفي ولا العكس، بل إن كلاهما يحتاج الآخر لتحقيق فهم شامل للواقع<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - برتراند راسل، مشكلات الفلسفة، مرجع سابق، ص 72.

<sup>2</sup> - توماس كون، بنية الثورات العلمية، مرجع سابق، ص 109.

وبعيدا عن التصور الشائع الذي يفصل بين العلم والفلسفة؛ يمكن القول أن هناك علاقة تكاملية بينهما؛ وهذا التداخل بين العلم والفلسفة ليس دليلا على ذوبان أحدهما في الآخر، بل على حاجتهما المتبادلة لتشكيل رؤية أكثر شمولاً وتعقيدا للواقع، رؤية تجمع بين الدقة العلمية وعمق التأمل الفلسفي.

**خلاصة:**

يتضح لنا من خلال ما سبق عرضه، أن الفلسفة والعلم يُشكّلان معا أساسا ضروريا لبناء عقل إنساني متكامل؛ فالفلسفة تُنمّي البعد التأملي والنقدي، والعلم يُعزّز الدقة والبرهنة. ورغم اختلاف المنهجين، إلا أن تكاملهما ضروري لتحقيق فهم أعمق ومعرفة أكثر توازنا. فبينما توسّع الفلسفة مجال التساؤل، يُقدّم العلم أدوات الإجابة. ويُعدّ الجمع بين العقلين الفلسفي والعلمي، ضرورة في مواجهة التحديات المعاصرة مثل قضايا التكنولوجيا والبيئة وأخلاقيات الذكاء الاصطناعي، التي لا يُمكن فهمها أو التعامل معها بمنهج واحد فقط.



## المحاضرة التاسعة

### دور الفلسفة في تعقل الدين وترشيد السلوك الديني

**تمهيد:**

يشكّل الدين جانبا محورياً في حياة الإنسان، لكن فهمه وممارسته قد يشوبهما الغلو أو الجمود إذا غاب التعقل. وهنا تلعب الفلسفة دورا أساسيا، إذ تسهم في تعميق الفهم الديني، وتنقيته من التفسيرات المغلقة، وترشيد السلوك الديني؛ ليقوم على الوعي لا على التلقين. فرغم ما يبدو من تباعد بين العقل الفلسفي والإيمان الديني، إلا أن التاريخ الفكري يثبت إمكانية التكامل بينهما، بما يخدم مقاصد الدين في الرحمة، والعدل، والحكمة.

**أولا: مدخل مفاهيمي**

لفهم العلاقة بين الفلسفة والدين، لا بد من الوقوف أولاً على تحديد دقيق للمفاهيم الأساسية التي يقوم عليها هذا البحث، وهي: الفلسفة، والدين، والسلوك الديني. أما الفلسفة فقد سبق وأن عرفنا بأنها نشاط عقلي؛ يسعى إلى إدراك المعنى الكامن وراء الوجود والقيم والإنسان، عبر أدوات العقل والتفكير

المنهجي .وهي لا تكفي بإنتاج المعرفة، بل تمارس النقد وإعادة النظر في المسلّمات، ولم يبق لنا إلا أن نتعرف على مفهوم الدين والسلوك الديني.

## 1- مفهوم الدين:

كلمة "الدين" في اللغة العربية تدل على الخضوع والطاعة، وقد وردت بعدّة معانٍ منها: الجزاء والعادة، والحساب، والسيرة، والانقياد، والذل، ومن ذلك ما جاء في لسان العرب: "الدَّيْنُ: الجزاء، والمدانة: الطاعة... يقال: دِنته فدان، أي قهرته فحضع لي". وقد أشار ابن فارس إلى أن الأصل في مادة (دين) هو الانقياد<sup>1</sup>.

وفي الاصطلاح، عرّف العلماء الدين بتعاريف متعددة، تتقاطع جميعها في كونه نظاماً إلهياً يشمل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، يُنظّم علاقة الإنسان بربه وبالخلق. ومن أبرز التعاريف: أن "الدين هو وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل"<sup>2</sup>، وهو تعريف يُجلي طبيعة الدين باعتباره تشريعاً إلهياً موجّهاً للإنسان العاقل، يدعو إلى الخير في الدنيا والآخرة عن طريق الاقتناع والاختيار، لا الإكراه. وتظهر في هذا التعريف بوضوح علاقة الدين بكل من العقيدة والشريعة؛ إذ تشير عبارة "وضع إلهي" إلى أن أصل الدين هو العقيدة المبنية على الإيمان بالله ووحيه وغيبه، في حين يُفهم من "سائق لذوي العقول" أن الدين يتضمن الشريعة التي تنظم سلوك الإنسان وتوجهه نحو الصلاح والفلاح. فالعقيدة تمثل الجانب الإيماني النظري الذي يرسّخ التصور الصحيح عن الله والكون والحياة، بينما الشريعة تمثل الجانب العملي التطبيقي الذي يترجم هذه العقيدة إلى التزام وسلوك. ومن هنا، فإن الدين في شموليته يجمع بين التصديق القلبي (العقيدة) والانقياد العملي (الشريعة)، ويحقق بذلك صلاح الإنسان في الدنيا وسعادته في الآخرة.

## 5- مفهوم السلوك الديني:

السلوك الديني هو الجانب العملي الظاهر من التديّن، والذي يُعبّر عن التزام الفرد بتعاليم دينه في حياته اليومية، سواء في علاقته مع الله أو مع الناس أو مع نفسه. ويُعدّ السلوك الديني مظهرًا من مظاهر تمثل العقيدة والشريعة، إذ يُجسّد مدى صدق الإيمان، ودرجة امتثال المسلم لأوامر الله ونواهيه.

1- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، ص103.

2- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م، ص75.

وقد عرّف بعض الباحثين السلوك الديني بأنه: "الطريقة التي يُعبّر بها الإنسان عن التزامه بالدين من خلال أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة، وفقاً لما تملّيه عليه عقيدته وشريعته"<sup>1</sup>. فهو يشمل أداء العبادات كالصلاة والصيام، والتحلّي بالأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة، واجتناب المحرمات كالغيبة والكذب كما يشمل السلوك الديني المعاملات اليومية في مجالات الحياة كافة، كالتعامل في السوق، والعمل، والأسرة وغيرها<sup>2</sup>.

ويتأثر السلوك الديني بعوامل متعددة، منها: قوة الاعتقاد، والبيئة الاجتماعية، والثقافة الدينية والمستوى المعرفي للفرد<sup>3</sup>. ولذلك فإن السلوك الديني قد يتفاوت بين الناس، بل وقد يتفاوت عند الشخص الواحد باختلاف الزمان والمكان والظروف. والسلوك الديني ليس مجرد طقوس، بل هو انعكاس حقيقي لمستوى التدين، ودليل على مدى تمثل الإنسان لقيم دينه في حياته العملية، مما يجعله مقياساً مهماً في تقييم مدى التزام الفرد دينياً.

### 3- العلاقة بين الفلسفة والدين:

يُعدّ موضوع العلاقة بين الفلسفة والدين من أقدم، وأهم المواضيع التي شغلت فكر الإنسان، وذلك لما بين المجالين من تداخل وتفاعل. فالدين، باعتباره وحياً إلهياً موجهاً لهداية البشر، يقدم إجابات نهائية لمسائل كبرى تتعلق بوجود الله، ومعنى الحياة، والمصير بعد الموت. أما الفلسفة، فهي جهد عقلي إنساني يسعى لفهم الوجود والحقائق الكونية، والإنسانية من خلال التأمل العقلي والمنطقي<sup>3</sup>.

وقد ظهرت العلاقة بين الفلسفة والدين في صورة شد وجذب عبر التاريخ؛ فقد اتخذت في بعض المراحل طابع التنافر والصراع، كما في العصور الوسطى، حيث اتُّهمت الفلسفة أحياناً بأنها تُشكك في العقائد الدينية، خاصة عند بعض الفلاسفة الذين قدموا تصورات عقلية، تناقض بعض المسلمات الدينية وفي المقابل، نجد مراحل أخرى ساد فيها التكامل، كما هو الحال عند فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا وابن رشد، الذين سعوا إلى التوفيق بين معطيات الوحي ومعطيات العقل<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، ج1، دار الفكر، دمشق، 2005م، ص 32.

<sup>2</sup> - الغزالي، محمد، خلق المسلم، دار نضضة مصر، القاهرة، 1993، ص 22.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، العمل الديني والعمل الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997م، ص 18.

<sup>4</sup> - ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق محمد عمارة، دار المعارف، بيروت، 1983م، ص 42.

فالفلسفة والدين يشتركان في الاهتمام بالأسئلة الوجودية الكبرى، ولكنها يختلفان في المنهج؛ فالدين يعتمد على التسليم بالنصوص المقدسة، بينما تعتمد الفلسفة على التأمل العقلي والبرهان المنطقي<sup>3</sup>. غير أن هذا الاختلاف لا يعني بالضرورة التضاد، بل قد يؤدي إلى التكامل؛ إذ يُمكن أن تساعد الفلسفة على فهم أعمق للدين، كما يُمكن للدين أن يمنح الفلسفة ضوابط أخلاقية وروحية.

وبذلك، يمكن القول أن العلاقة بين الفلسفة والدين؛ هي علاقة تتأرجح بين الصراع والتكامل وليست علاقة ثابتة أو أحادية الاتجاه. فهي تتحدد في كل مرحلة تاريخية بحسب عوامل متعددة، أبرزها طبيعة الفلسفة السائدة، ونمط الفكر الديني المسيطر، ومدى انفتاح كل طرف على الآخر واستعداده للحوار فحين تكون الفلسفة منفتحة على البُعد الروحي للوجود، وغير منغلقة على العقل كأداة وحيدة للمعرفة تكون أكثر قابلية للتفاعل الإيجابي مع الدين. وبالمثل، عندما يتحرّر الفكر الديني من الجمود والانغلاق ويقرّ بشرعية التأمل العقلي والاجتهاد، فإنه يفسح المجال لتكامل حقيقي مع الفلسفة، بل ويستفيد منها في تطوير فهم أعمق وأكثر عقلانية لنصوصه وتعاليمه.

أما في السياقات التي يسود فيها التصلب، سواء من جهة العقل الفلسفي الذي يرفض كل ما هو غيبي، أو من جهة الفكر الديني الذي يغلق باب التأويل والاجتهاد، فإن العلاقة تميل إلى الصدام والصراع حيث يُنظر إلى الفلسفة كتهديد للعقيدة، أو يُتهم الدين بأنه عائق أمام حرية التفكير.

وعليه، فإن العلاقة بين الفلسفة والدين لا تُفهم في ضوء ثنائية جامدة، بل ينبغي النظر إليها بوصفها علاقة تاريخية متغيرة، تتأثر بالسياقات الثقافية والاجتماعية، وتشكّل وفق درجة الوعي، والاحتكام إلى العقل، واحترام التعدد في طرق البحث عن الحقيقة.

### ثانياً: دور الفلسفة في تعقل الدين

تُعد الفلسفة أداة عقلية عميقة لفهم الدين وتعقله، لا بمعنى استبدال الإيمان بالعقل، بل بمعنى استخدام العقل لفهم الإيمان، وترسيخ مبادئه من خلال التأمل والتحليل. وقد برز هذا الدور منذ البدايات الأولى للفكر الإسلامي، خاصة في محاولات المتكلمين والفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم، في التوفيق بين العقل والنقل<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991م، ص 94.

## 1- تعقل العقيدة:

إن أولى وظائف الفلسفة في علاقتها بالدين؛ هي التأمل العقلي في المفاهيم الإيمانية الكبرى، كوجود الله والنبوة، والمعاد، وهي مفاهيم تُعدّ من صلب العقيدة الإسلامية، وقد أسهمت فلسفة الدين، كفرع فلسفي مستقل، في تناول هذه القضايا بالتحليل العقلي والمنطقي، مما أتاح للباحثين أدوات لفهم أعمق للبعد الغيبي في الدين<sup>1</sup>.

وتتمثل إحدى أهم وظائف الفلسفة في علاقتها بالدين في قدرتها على إضفاء طابع عقلاني ومنهجي على القضايا الإيمانية، من خلال مساءلة مفاهيم مثل الإله، والوحي، والحياة بعد الموت، لا بهدف إنكارها بل لفهمها في أبعادها العقلية والوجودية. وقد ساهم هذا المنظور الفلسفي في تطوير أدوات تحليلية تساعد على التمييز بين ما هو نابع من أصل العقيدة وما هو نتاج لتأويلات تاريخية أو ثقافية. كما أتاحت الفلسفة إمكانية تأطير الظواهر الدينية في سياقات معرفية وأخلاقية أوسع، كالبحث في علاقة الإيمان بالحرية والمسؤولية، أو في وظيفة الدين في تشكيل الضمير الإنساني. ومن هذا المنطلق، لم تكن الفلسفة خصمًا للدين، بل ممارسة نقدية تُثريه، وتُسهّم في تعميق الوعي به، وتحديد فهمه بما ينسجم مع تطورات الفكر والواقع.

## 2- تفكيك الأساطير والخرافات:

تقوم الفلسفة بدور نقدي مركزي عبر استنطاق الأسطورة، وتفكيك جذورها الرمزية ومراجعة مادّتها المعرفية، مُفضّلة المنطق على الخرافة، والتأمل العقلاني على التفسير السحري للظواهر. ويكشف أرنست كاسيرر في كتابه اللغة والأسطورة كيف أن الفلسفة، من خلال لغة العقل، تتعامل مع الأسطورة ليس كمركب غامض، بل كرمز قابل للقراءة والتحليل، لا لبقائه المكتوم، بل لكشف طبيعته التأويلية، وإعادة فهمها ضمن نسق معرفي عقلاني<sup>2</sup>.

وفي السياق ذاته، يأتي كتاب الدولة والأسطورة، ليستكشف كيفية توظيف الأسطورة بتوظيفها السياسي، وكيف استطاعت الأنظمة جمع واستثمار الخرافات لتعزيز الشرعية، بينما تؤكد الفلسفة أن لا سلطان لها فوق عقلية الإنسان، داعية إلى كشف الأسطورة المخفية وراء الخطابات الدعائية.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، العمل الديني والعمل الفلسفي، مرجع سابق، ص 43.

<sup>2</sup> - أرنست كاسيرر، اللغة والأسطورة، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة، ط1، 2009، ص 15، 16.

هذا التوازن بين التحليل الفلسفي والأسطورة؛ لا يدفع إلى إنكار دور الأسطورة في الحضارة، بل إلى إعادة ترتيب موقعها من رمز لا يعقل إلى موضوع يُفكك ويُفهم ضمن أطرٍ معرفية تسمح بسبر معانيها دون السقوط في الخرافة.

وتلعب الفلسفة دوراً هاماً في تمييز ما هو ديني أصيل؛ عمّا هو ثقافي موروث أو خرافي؛ فليست كل الممارسات أو التصورات المنسوبة إلى الدين هي بالضرورة من الدين نفسه، بل قد تكون ناتجة عن تأويلات أو تراكمات ثقافية. وهنا يظهر دور الفلسفة في تنقية الدين من المبالغات أو التأويلات المتطرفة، من خلال إخضاعها للمنهج العقلي والتحليل النقدي<sup>1</sup>.

### 3- الدفاع العقلاني عن الدين:

لا يقتصر دور الفلسفة على الفهم والنقد، بل يمتد إلى الدفاع العقلي عن الدين، من خلال الحوار مع المختلفين، سواء من الملاحدة أو أتباع الديانات الأخرى. وتُعتبر الحجج العقلية على وجود الله، مثل برهان النظم، وبرهان الإمكان والوجوب، من أبرز الأدلة التي استُخدمت في هذا السياق<sup>2</sup>.

وقد ساهم الفلاسفة، عبر العصور، في تقديم خطاب ديني عقلائي يجمع بين الإيمان والتفكير، وبين النص والتأويل المنضبط، بما ينسجم مع مقاصد الدين الكبرى وروحه الإنسانية. ومن خلال هذا الطرح تُسهّم الفلسفة في ترشيد التدبُّن وتحريره من الغلو والانحراف، حيث تقدّم قراءة عقلية واعية للنصوص الدينية، تُوازن بين الثابت والمتغير، وتُعلي من شأن المقاصد والمعاني على حساب الظواهر الشكلية.

كما تلعب الفلسفة دوراً مهماً في توجيه السلوك الديني نحو العمق والصدق والالتزان، بعيداً عن مظاهر التطرف أو السطحية. فهي تفتح أفقاً تأملياً يُعين الإنسان على فهم حقيقة التدبُّن، وتجاوز القراءات الضيقة أو المتعصبة، بما يحقق الغاية الحقيقية من الدين في حياة الفرد والمجتمع، وهي الهداية، والترقية، وبناء الإنسان الواعي والمسؤول.

<sup>1</sup> - حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997م، ص 75.

<sup>2</sup> - فخر الدين الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، بيروت: دار الكتاب العربي، 1987م، ج 2 ص 122.

ثالثاً: دور الفلسفة في ترشيد السلوك الديني:

## 1- نقد السلوكيات المتطرفة أو الشكلية

تلعب الفلسفة دوراً نقدياً أساسياً في تحليل السلوكيات المتطرفة أو الشكلية، التي غالباً ما تُمارس باسم القيم أو الدين، لكنها في جوهرها تُعبّر عن خلل في الفكر وفقدان للتوازن الأخلاقي. فالسلوك المتطرف الذي يتجاوز حدود العرف المقبول أو الحكم العقلاني، لا يُواجه فقط بجرعة من النصوص أو الشعارات بل بموقف نقدي فلسفي يُعيد طرح الأسئلة الكبرى عن المعنى والقيم والإنسان.

وفي هذا الإطار، يؤكد محمد عابد الجابري على أن الفلسفة، بميزان العقل والمنهج النقدي، قادرة على تفكيك هذه السلوكيات، من خلال نقدها ليس بوصفها مخالفة بل بوصفها إشكالاً معرفياً. فهو يرى أنّ "السلوك الديني الذي يصبح شكلياً أو متطرفاً يفقد أبعاده الأخلاقية، ويصبح خاضعاً لطغيان النص دون وعي أو تأمل"<sup>1</sup>.

كما يشدد عبد الوهاب المسيري على أن الفلسفة، باعتبارها تربية على التفكير الحر، لا تنفصل عن مواجهة السلوكيات التي يبدو عليها المظهر فوق الجوهر. فهي تُعزّز قدرة العقل على التمييز بين الشكل الخادع والجوهر الحقيقي، وتساعد على تطوير نوع من المراقبة الذاتية التي تقي من الانزلاق نحو التطرف أو الانغلاق<sup>2</sup>.

وثُعينت الفلسفة على تقييم السلوك الديني من حيث مقاصده لا من حيث مظهره الخارجي، إذ قد يقع المتدين في ممارسة شكلية تفتقر إلى الوعي المقاصدي، أو في سلوك متطرف يتناقض مع روح الدين<sup>3</sup>. كما تساعد الفلسفة في تفكيك السلوك الديني القائم على العادة أو الخوف، دون إدراك أو تعقّل، وهو ما يُحوّل الدين إلى ممارسة ميكانيكية فاقدة للروح<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، نقد العقل الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983، ص. 112-114

<sup>2</sup> - عبد الوهاب المسيري، العقل العربي: بين التراث والحداثة، دار الشروق، القاهرة، 1995، ص 201-203.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، روح الدين: من ضيق العلمانية إلى سعة الانتمانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء: 2012م، ص 97.

<sup>4</sup> - طه عبد الرحمن، العمل الديني والعمل الفلسفي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1997م، ص 56.

## 2- تعزيز البعد الأخلاقي للدين

تلعب الفلسفة دوراً توجيهياً محورياً في تعزيز البعد الأخلاقي للدين، من خلال تنقيح الفهم الديني ليكون نابعا من وعي داخلي، وليس مجرد تقليد شكلي أو اجتهادٍ ظاهري. وبهذا، تتحوّل الفلسفة إلى أداة تمكّن الإنسان من بناء حريته الأخلاقية، وتمييز فعل الخير من منطلقه القيمي الصادق. ولا تقوم الأخلاق على مجرد الطاعة أو الامتثال الخارجي، بل على النية الصادقة والإرادة الحرة فالفعل الأخلاقي الحق لا ينبع من الخوف أو العادة، بل من الضمير والوعي الحر، ولا تكتمل الأخلاق إلا بتكامل البعد الروحي والعقلي في الإنسان، ويرى أن الفلسفة تُسهم في إحياء هذا البعد داخل الممارسة الدينية، من خلال بناء وعي تأملي، يتجاوز الانغلاق المادي والتقني الذي تفرضه بعض نماذج الحداثة<sup>1</sup>. وتُسهم الفلسفة، وخصوصاً الفلسفة الأخلاقية، في إعادة توجيه المتدين نحو جوهر الدين وقيمه، لا مظاهره وأشكاله فقط. فالدين، كما تؤكد الفلسفة الأخلاقية، ليس مجرد طقوس تُمارس، بل هو منظومة قيمة تُهدّب الإنسان<sup>2</sup>، ومن هنا، يُصبح السلوك الديني أكثر توازناً، مرتبطاً بالعدل والرحمة والصدق، بدلا من أن يُستخدم وسيلة للتمييز أو الإقصاء.

## 3- مواجهة التدين الشكلي أو المصلحي

تعمل الفلسفة على نقد النفاق الديني أو التدين المصلحي، حيث يمارس بعض الأفراد سلوكاً دينياً لا يصدر عن إيمان حقيقي، بل عن رغبة في نيل قبول اجتماعي أو تحقيق مصالح شخصية<sup>3</sup>، كما تؤكد الفلسفة على أن السلوك الديني خيار حرّ نابع من القناعة، لا مفروض من الخارج، ما يُعزّز صدق العلاقة بين الإنسان وربه، ويجعل الدين تجربة شخصية صادقة وخالصة<sup>4</sup>. وبهذا، فإن الفلسفة لا تتعارض مع الدين، بل تُسهم في تعميق الوعي الديني، وتصحيح مسارات التدين، وإخراجه من الشكل إلى الجوهر، ومن الخوف إلى الفهم، ومن التقليد إلى الحرية.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، نقد العقل العصري: بناء العقلية المستنيرة، دار الفكر، بيروت، 2006، ص 87-88.

<sup>2</sup> - محمد عابد الجابري، الدين والتدين: التشكل والتحول، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2014م، ص 119.

<sup>3</sup> - حسن حنفي، الدين والثورة في مصر، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1989م، ص 203.

<sup>4</sup> - عبد الله العروي، مفهوم الحرية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2008م، ص 88.

ولا تكتفي الفلسفة بمجرد تحليل مظاهر التدين، بل تمتد إلى مساءلة الدوافع والمآلات، فتنقد ما يُعرف بالتدين النفعي أو الموسمي، الذي يتحول فيه الدين إلى وسيلة لتحقيق مكاسب دنيوية أو تعزيز المكانة الاجتماعية، لا إلى علاقة روحية ووجودية أصيلة بين الإنسان وربه. كما تُعري الفلسفة مظاهر الرياء الديني والنفاق الاجتماعي الذي يتجلى في التظاهر بالتقوى دون التزام حقيقي بالقيم الأخلاقية والإنسانية التي يدعو إليها الدين.

وتشدد الفلسفة كذلك على أهمية التمييز بين جوهر الدين، الذي يدعو إلى الحرية والكرامة والتفكير، وبين أشكال التوظيف الأيديولوجي أو السلطوي للدين، التي تُفرغه من مضمونه الإنساني وتحوّله إلى أداة للسيطرة أو القمع. ومن هنا، فإن الفلسفة ترفض اختزال الدين في طقوس جامدة أو أحكام متشددة، وتدعو إلى فهمه باعتباره دعوة للحكمة، والتزكية، والحوار، والسعي نحو الحقيقة.

وعلى هذا الأساس، فإن الفلسفة لا تقف موقفًا عدائيًا من الدين، بل تسهم في إعادة وصل الإنسان بجوهر الرسالة الدينية، وتحرر التدين من هيمنة العادة أو الخوف أو الجهل، لتجعله تجربة عقلية ووجدانية ناضجة، تُمارس بحرية ومسؤولية. فهي تساعد على الانتقال من الإيمان الوراثي إلى الإيمان الواعي، ومن التبعية الفكرية إلى الاختيار القائم على القناعة والتأمل.

### خلاصة:

يشكل فهم العلاقة بين الفلسفة والدين مدخلا أساسيًا لبناء وعي ديني متزن. فبعيدا عن التصورات التي ترى تعارضا بينهما، تبين الفلسفة أنها أداة عقلية تساعد على تعقل العقائد، وتمييز الجوهر من الشكلي، وتحرير الممارسة الدينية من التقليد والانفعال. في سياق تتعدد فيه أنماط التدين بين الإفراط والتفريط، تبرز الحاجة إلى توظيف الفكر الفلسفي لترشيد السلوك الديني وربطه بمقاصده الأخلاقية والروحية بما يُحقق توازنا بين العقل والإيمان، ويؤسس لتدين واعٍ ومسؤول

## المحاضرة العاشرة

### العلاقة التفاعلية والتكاملية بين الفلسفة والعلم

تمهيد:

تُعد العلاقة بين الفلسفة والعلم من القضايا الأساسية في تاريخ الفكر، حيث نشأت كلاهما من التساؤل عن طبيعة الوجود والمعرفة. ورغم اختلاف المنهجين، فقد ارتبطا تأثيرًا متبادلًا؛ فالفلسفة وضعت أسس التفكير العلمي، بينما أعاد العلم تشكيل الأسئلة الفلسفية عبر التقدم المعرفي. يُمكن استعراض أوجه التفاعل والتكامل بينهما تاريخيًا ومنهجيًا، لتبيان دور هذا التداخل في تطوير فهم الإنسان للعالم.

#### أولاً: الإطار التاريخي للعلاقة بين الفلسفة والعلم:

إن العلاقة بين الفلسفة والعلم علاقة ضاربة في عمق التاريخ، تمتاز بالتداخل والتكامل في مراحل، والتمايز وربما التوتر في مراحل أخرى. ويمكن تتبع تطورها عبر محطات أساسية توضح كيف تفاعلت هاتان المنظومتان المعرفيتان في بناء الفكر الإنساني.

#### 1. الفلسفة والعلم في الفكر اليوناني القديم

في العصور اليونانية القديمة، لم يكن هناك فصل واضح بين الفلسفة والعلم، كما هو الحال اليوم فقد كانت الفلسفة تشمل جميع مجالات المعرفة الإنسانية، سواءً تلك المتعلقة بالطبيعة، أو الإنسان، أو الكون كان الفيلسوف في تلك الفترة يُعتبر باحثًا عن الحقيقة، وكان يسعى لفهم القوانين التي تحكم العالم والطبيعة<sup>1</sup>.

ومن أبرز الفلاسفة الذين ساهموا في تأسيس الفكر العلمي والفلسفي في ذلك العصر، نجد طاليس الذي يعتبر أول من بدأ التفكير العقلاني في الطبيعة، بالإضافة إلى أنكسمنديس الذي طرح فكرة أن الكون يتكون من مادة أولية واحدة<sup>2</sup>.

أما أرسطو فقد كان له دور محوري في تصنيف العلوم وتنظيم المعرفة. فقد وضع تصنيفًا للعلوم شمل المنطق، والفيزياء، والميتافيزيقا، والأخلاق، والسياسة، وهو ما يعكس فكرة أن المعرفة لا تُفصل بل تتكامل<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - يعني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 45.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بدوي، تاريخ الفلسفة اليونانية القاهرة: دار المعارف، 1992، ص 123.

<sup>3</sup> - أرسطو، الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد القاهرة: دار المعارف، 1959، ص 56.

## 2- الفلسفة والعلم في العصور الوسطى

في العصور الوسطى، تداخلت الفلسفة والعلم بشكل كبير، لكن الفلسفة كانت دائماً هي الإطار الذي من خلاله تم تناول كافة مجالات المعرفة. كانت الكنيسة المسيحية في أوروبا لها دور كبير في تشكيل الفكر الفلسفي والعلمي، حيث كانت تُعتبر المصدر الأعلى للمعرفة، مما أثر على تطور العلم في تلك الحقبة. في هذه الفترة، ركز الفلاسفة على التوفيق بين العقل والدين، وفي الوقت ذاته، كانت هناك محاولات جادة لفهم الطبيعة باستخدام المنهج العقلاني<sup>1</sup>.

ومن أبرز الفلاسفة الذين ساهموا في الجمع بين الفلسفة والعلم في العصور الوسطى القديس أوغسطين الذي قام بمحاولة لدمج الفلسفة اليونانية (خاصة أفلاطون) مع المسيحية، حيث سعى إلى تفسير العالم بناءً على المبادئ الدينية<sup>2</sup>، كما يعتبر توما الأكويني من أبرز الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الفلسفة الأرسطية والدين المسيحي، من خلال مناقشة العلاقة بين الإيمان والعقل؛ فقد كان الأكويني يعتقد أن الإيمان يمكن أن يتوافق مع العقل والتفكير المنطقي، وأن هناك معرفة يمكن الوصول إليها بواسطة العقل البشري، بينما توجد معرفة أخرى تأتي من الوحي الإلهي<sup>3</sup>.

وكان للفلاسفة المسلمين في العصور الوسطى، وعلى رأسهم ابن سينا وابن رشد، دور بارز في تطوير الفكر الفلسفي، من خلال تفاعلهم العميق مع التراث اليوناني، لاسيما الفلسفة الأرسطية، وإعادة قراءته في ضوء المنظومة الإسلامية، فقد سعى ابن سينا إلى التوفيق بين العقل والتجربة، حيث حاول دمج المنهج التجريبي بالمقاربات العقلية، مما جعله من أوائل من مهدوا لظهور التفكير العلمي والفلسفي المتكامل. أما ابن رشد، فقد تبني الدفاع عن الفلسفة باعتبارها طريقاً مكماً للإيمان، مؤكداً أن الحقيقة واحدة، ولا يمكن أن يتعارض ما يثبتته العقل السليم مع ما يقرره الوحي الصحيح. ولذلك، شدد على أن الفلسفة والدين ليسا في صراع، بل في انسجام وتكامل، ما دام التأويل السليم حاضراً، والفهم العميق للدين مقترباً بالعقل.

<sup>1</sup> - توما الأكويني، اللاهوت العقلي، دار المعارف، القاهرة، 1992، ص 58.

<sup>2</sup> - أوغسطينوس، مدينة الله، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1985، ص 135.

<sup>3</sup> - توما الأكويني، المرجع السابق، ص 58.

في العصور الوسطى، كان الاهتمام بالفلسفة الطبيعية محدودًا إلى حد كبير بسبب التأثير الديني وكانت العلوم تعتبر خادمة للإيمان، لا مستقلة عنه. ومع ذلك، فإن الفلسفة في هذه الفترة، بالرغم من تأثرها بالدين، ساعدت في تأسيس الأسس التي سينبني عليها العلم الحديث فيما بعد.

### 3- الفلسفة والعلم في العصر الحديث والمعاصر

في العصر الحديث، بدأت العلاقة بين الفلسفة والعلم؛ تأخذ مسارًا جديدًا مع ظهور العلم التجريبي وتطور المنهج العلمي، ومع الثورة العلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، مثل أعمال نيوتن وغاليليو بدأ العلماء في التأكيد على أهمية التجربة والملاحظة كأساس للمعرفة. هذه التحولات العلمية ألهمت الفلاسفة بدورهم؛ في تطوير فلسفات جديدة حول المنهج العلمي وطبيعة المعرفة<sup>1</sup>.

وقد نشأت فلسفة العلم كفرع مستقل من الفلسفة في العصر الحديث، نتيجة لتطور المناهج العلمية والحاجة إلى تأمل نقدي في أسس المعرفة العلمية ومنهجياتها. وكان فرنسيس بيكون من أوائل المفكرين الذين مهدوا لهذا التوجه، حيث دعا إلى التجريبية ورفض الاعتماد على التأملات المجردة، مؤكدًا على ضرورة اعتماد المنهج العلمي، القائم على الملاحظة والتجربة كأساس للوصول إلى المعرفة الدقيقة.

وفي المقابل، جاء رينيه ديكارت مؤسسًا للاتجاه العقلي، حيث اعتمد على الشك المنهجي كوسيلة لتحرير العقل من الموروثات غير المبررة، والسعي إلى يقين يقوم على الوضوح والبدهة. وقد مثل هذا التحول لحظة فارقة في تاريخ الفكر، حيث بدأ الفلاسفة ينظرون إلى العلم لا كمجموعة من النتائج فقط، بل كنشاط معرفي يحتاج إلى دراسة فلسفية لطبيعة مفاهيمه، وطرقه، وحدود صدقه.

وهكذا، أصبح موضوع "العلم" في الفلسفة الحديثة مجالًا للتفكير المنهجي والنقدي، يطرح أسئلة عميقة حول كيف نفهم الواقع، وكيف نبني الحقائق، وما المعايير التي تجعل المعرفة "علمية".

ومع تطور العلوم الطبيعية والفيزياء، في العصر المعاصر، بدأت الفلسفة تهتم بمفاهيم جديدة مثل النسبية والميكانيكا الكمومية؛ وكان ألبرت أينشتاين وماكس بلانك من أبرز العلماء الذين أحدثوا تغييرات جذرية في كيفية فهمنا للزمان والمكان والمادة. في هذا السياق، طرح الفلاسفة مثل ميشيل فوكو وتوماس

<sup>1</sup> - فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 210.

كون أسئلة فلسفية جديدة حول الطبيعة المتغيرة للعلم، ودور التاريخ الاجتماعي في تشكيل المعارف العلمية<sup>1</sup>.

وفي العصر المعاصر، بات العلم يُنظر إليه كعملية ديناميكية متطورة تخضع للمراجعة والتجديد، ما عزز التفاعل بين الفلسفة والعلم. حيث يساهم الفلاسفة في تحليل الأسس المفاهيمية والمنهجية للعلوم الحديثة، مستكشفين طبيعة المنهج العلمي ومفاهيم مثل الحتمية والصدفة، وموضوعية المعرفة وحدودها. بذلك، تلعب الفلسفة دورًا مهمًا في توضيح الجوانب النظرية والأخلاقية للعلم وتعميق فهمنا لطبيعة المعرفة العلمية ومكانتها في مشروع الإنسان لفهم العالم<sup>2</sup>.

### ثانياً- التمايز المعرفي والمنهجي بين الفلسفة والعلم

الفلسفة والعلم هما مجالان معرفيان؛ يرتبطان ببعضهما البعض بشكل وثيق، لكنهما يختلفان في المنهج والهدف، ويمكن القول إن الفلسفة هي أكثر عمومية من العلم، حيث تهتم بالأسس والمبادئ العامة التي تنظم المعرفة البشرية، بينما يركّز العلم بشكل أكبر على التجربة والملاحظة؛ لإنتاج معرفة محددة يمكن التحقق منها. كما أن منهج الفلسفة يعتمد على التفكير العقلي والتحليل المفاهيمي، والفلاسفة عادة ما يستخدمون المنهج التأملي والشك المنهجي كأساس للوصول إلى الحقيقة، ويطرحون أسئلة أساسية تتعلق بالوجود والمعرفة، والواقع. هذه الأسئلة قد لا تكون قابلة للتجربة أو القياس، مما يجعل الفلسفة غالبًا تتعامل مع مفاهيم مجردة وغير قابلة للاختبار بشكل مباشر<sup>3</sup>.

أما المنهج العلمي فيرتكز على الملاحظة والتجربة كأساس لاكتساب المعرفة. العلماء يستخدمون المنهج التجريبي الذي يتضمن التفسير الكمي والتحليل الإحصائي للظواهر الطبيعية. يعتمد العلم على الفرضيات القابلة للاختبار والنتائج القابلة للتكرار، مما يسمح له بالتوصل إلى قوانين ونظريات علمية تكون قابلة للتحقق من خلال التجارب والملاحظات

ومن خلال هذا التمايز بين الفلسفة والعلم، يمكن القول أن الفلسفة تركز على تفسير العالم في إطار منطق عقلائي مجرد، بينما تركز العلوم الطبيعية على فهم العالم من خلال التجربة والملاحظة الحسية، ومع

<sup>1</sup> - توماس كون، بنية الثورات العلمية، دار سينا، القاهرة، 2003، ص 75.

<sup>2</sup> - ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، دار التنوير، بيروت، 1985، ص 134.

<sup>3</sup> - رينيه ديكرت، مقال في المنهج، دار الطليعة، بيروت، 1963، ص 58.

ذلك، فإن هناك تقاطعا بين المجالين، حيث يتعاون الفلاسفة والعلماء في استكشاف الحدود والأسس الفلسفية للعلوم الحديثة. على سبيل المثال، ميشيل فوكو و توماس كون قدما تحليلات حول العلاقة بين تاريخ العلم و البنية الاجتماعية للمعرفة<sup>1</sup>.

إن التمايز بين الفلسفة والعلم لا يعني القطيعة، بل يشير إلى اختلاف الأدوار المعرفية والمنهجية حيث يسهم كل منهما في إثراء الآخر. فالعلم بحاجة إلى تأطير فلسفي يحصّنه ضد الانغلاق التجريبي والفلسفة تحتاج إلى معطيات العلم لتحديث أدواتها وأسئلتها في ضوء ما يستجد من معارف.

### ثالثا- أوجه التفاعل والتكامل بين الفلسفة والعلم

يُعدّ التفاعل بين الفلسفة والعلم من أبرز الموضوعات التي شغلت اهتمام الفلاسفة والعلماء عبر العصور. ورغم ما قد يبدو من تمايز بين المجالين، فإن العلاقة بينهما تتسم بتداخل وتكامل عميقين. فقد أسهم كلٌّ منهما في تطوير الآخر من خلال التأثير المتبادل في المنهج والمفاهيم. ويمكن تلخيص أوجه هذا التفاعل في عدد من النقاط الرئيسة.

1- الفلسفة كأساس للعلم: لعبت الفلسفة دورا كبيرا في تأسيس الأسس النظرية للعلوم، خاصة في بداية تطور العلم الحديث، الفلسفة الطبيعية كانت الخطوة الأولى نحو تطوير ما يُعرف الآن بالعلوم التجريبية فالفلاسفة في العصور القديمة مثل أرسطو وطاليس؛ حاولوا تفسير الظواهر الطبيعية من خلال التفكير العقلاني والتأمل الفلسفي، مما فتح الطريق أمام العلم التجريبي لاحقاً<sup>2</sup>.

2- الأسئلة الفلسفية في العلم: العلماء غالبا ما يعتمدون على أسئلة فلسفية في أبحاثهم، على سبيل المثال، وعبر نظرية الكم ونظرية النسبية تم طرح أسئلة فلسفية عميقة حول الزمان والمكان والواقع، مما دفع الفلاسفة للتفكير في طبيعة الحقيقة وكيفية استخلاص المعرفة<sup>3</sup>، الفلسفة تطرح أسئلة ميتافيزيقية تتعلق بتفسير الوجود والعلاقة بين الذهن والواقع، بينما العلم يجيب عنها بطريقة تجريبية؛ لكنهما يعتمدان على بعضهما البعض لفهم الظواهر.

<sup>1</sup> - ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، مرجع سابق، ص 134.

<sup>2</sup> - أرسطو، فلسفة الطبيعة، دار الفكر، بيروت، 1998، ص 150.

<sup>3</sup> - آينشتاين، النسبية: النظرية الخاصة والعامة، دار الحرف، بيروت، 2000، ص 45.

3- التطوير المشترك للمنهج العلمي: لم تقتصر الفلسفة على التأملات النظرية المجردة، بل أسهمت بشكل فعال في تطوير المنهج العلمي ذاته، فقد كان فرنسيس بيكون في القرن السابع عشر من أوائل المفكرين الذين وضعوا أسس المنهج التجريبي، مؤكداً أن المعرفة الحقيقية لا تُبنى على التأمل وحده، بل على الملاحظة الدقيقة والتجربة المنظمة، وقد مثل هذا التحول نقلة نوعية في الفكر العلمي، حيث أصبح الاختبار والتجريب ركيزتين أساسيتين في بناء المعرفة العلمية، بدلاً من الاعتماد على الاستنتاجات النظرية أو الموروثات التقليدية<sup>1</sup>.

4- ساهمت الفلسفة في وضع الإطار الفكري؛ الذي يعمل ضمنه العلم، حيث قدّم الفلاسفة مثل رينيه ديكارت مفاهيم حول الشك المنهجي والتحليل المنطقي، التي كان لها تأثير مباشر على المنهج العلمي<sup>2</sup>.

5- تفسير وتقييم النظريات العلمية: في العديد من الحالات، يتعامل الفلاسفة مع النظريات العلمية من منظور نقدي، حيث يسعون إلى فهم الأسس الفلسفية للنظريات مثل النسبية والميكانيكا الكمومية على سبيل المثال، توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية" طرح فكرة أن العلوم لا تتطور بشكل خطّي بل عبر ثورات علمية، تُحدث تحولاً جذرياً في الباراديغم "Paradigm" أو النموذج العلمي السائد<sup>3</sup>.

6- الفلسفة والعلم في العصر المعاصر في العصر المعاصر، أصبح هناك تفاعل أكبر بين الفلسفة والعلم حيث بدأ الفلاسفة المعاصرون مثل ميشيل فوكو وكارل بوبر في دراسة الأسس الفلسفية للمنهج العلمي وكذلك تأثير السياق الاجتماعي والسياسي على تطور العلوم<sup>4</sup>، فالفلسفة لا تزال تساهم في تحليل وتفسير الأسس التي يعتمد عليها العلم، بينما يستمر العلم في تقديم أسئلة جديدة ومفاهيم قد تستدعي تفكيراً فلسفياً أعمق.

### رابعاً- نقد العلاقة والجدل حول "موت الفلسفة"

شهدت العلاقة بين الفلسفة والعلم في العصر الحديث تصاعداً في الجدل حول جدوى الفلسفة، وظهرت أطروحات راديكالية تذهب إلى القول بـ "موت الفلسفة" أو تجاوزها، لاسيما في ظل الإنجازات

<sup>1</sup> - فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 210.

<sup>2</sup> - رينيه ديكارت، مقال في المنهج، مرجع سابق، ص 58.

<sup>3</sup> - توماس كون، بنية الثورات العلمية، مرجع سابق، ص 75.

<sup>4</sup> - ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، مرجع سابق، ص 134.

العلمية والتقنية المتسارعة. وقد عبّر عن هذا الاتجاه بوضوح العالم الفيزيائي الشهير ستيفن هوكينغ حين صرّح في كتابه التصميم العظيم بأن "الفلسفة قد ماتت" لأن العلماء باتوا هم المصدر الأساسي للإجابة عن الأسئلة الكبرى المتعلقة بالكون والوجود<sup>1</sup>.

## 1- مبررات هذا الادّعاء:

يرى بعض العلماء أن الفلسفة؛ لم تعد قادرة على مواكبة التطور العلمي، إذ تفتقر إلى أدوات التحقق والتجريب، وتعتمد على مناهج تأملية لا تسهم في إنتاج معرفة دقيقة أو تطبيقية، ويعتقد هؤلاء أن العلم الحديث قد أصبح مكثفياً بذاته، خاصة في مجالات الفيزياء، والأحياء، والذكاء الاصطناعي، مما يجعل العودة إلى الأسئلة الفلسفية ضرباً من الترف العقلي غير المجدي<sup>2</sup>.

لقد أسهم العديد من الفلاسفة في تطوير فهمنا للعلاقة بين الفلسفة والعلم، كلٌّ من زاويته الخاصة فقد كان فرنسيس بيكون من أوائل من أسسوا للمنهج التجريبي، مؤكداً أن المعرفة العلمية يجب أن تقوم على الملاحظة المنظمة والتجربة، لا على التأمل النظري المجرد. أما رينيه ديكارت، فقد دافع عن أهمية العقل والشك المنهجي في بناء يقين فلسفي وعلمي، من خلال الانطلاق من الشك للوصول إلى حقائق واضحة ومتميزة. وفي القرن العشرين، طرح كارل بوبر معيار "قابلية التنفيذ" كشرط أساس لعلمية أي نظرية، معتبراً أن ما لا يمكن اختباره أو نقضه لا ينتمي إلى العلم. كما قدّم توماس كون تصوراً جديداً لتطور العلم مؤكداً أن التقدم العلمي لا يتم بصورة خطية، بل من خلال "ثورات علمية" تغيّر النماذج المعرفية السائدة أما بول فييرآبند، فقد ذهب إلى أن العلم ليس محكوماً بمنهج ثابت، ودعا إلى ما أسماه "الفوضوية المنهجية" رافضاً احتكار العلم للحقيقة.

## 2- الرد الفلسفي:

في المقابل، يرفض العديد من الفلاسفة هذا الطرح، معتبرين أن مثل هذه التصريحات تعكس سوء فهم لطبيعة الفلسفة ووظيفتها؛ فالفلسفة لا تزاحم العلم في ميدانه، ولا تدّعي امتلاك أدواته التجريبية، بل تسهم في تحليل المفاهيم العلمية، وتفكيك البنى النظرية التي يقوم عليها، وتقديم تأمل نقدي في مناهجه ونتائجه. إنها تمثل صوت التساؤل العميق خلف الظواهر، وتعمل على توسيع أفق التفكير العلمي، لا الحدّ

<sup>1</sup> - ستيفن هوكينغ، التصميم العظيم، ترجمة محمد فتحي خضر، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2012، ص 14.

<sup>2</sup> - يعني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 91-95.

منه. بل إن عددا من كبار العلماء أنفسهم، مثل ألبرت أينشتاين وفيرنر هايزنبرغ، أقرّوا بأهمية البعد الفلسفي في عملهم العلمي. فقد كان أينشتاين يؤمن بأن "العلم بدون الفلسفة أعمى"، وكان يرى أن التقدم العلمي يحتاج إلى أساس مفاهيمي واضح يتطلب تفكيراً فلسفياً عميقاً. أما هايزنبرغ، رائد فيزياء الكم، فقد أكد أن النظر في الأسئلة الفلسفية كان ضرورياً لفهم دلالات نظريته، خصوصاً ما يتعلق بمفاهيم الاحتمال وعدم اليقين، وحدود المعرفة<sup>1</sup>.

### 3- الفلسفة في قلب العلم:

إن العديد من النقاشات العلمية الكبرى في العصر الراهن (كالتفسير الكمي، ومشكلة الوعي، ومعايير الذكاء الاصطناعي، وأخلاقيات العلم) تُطرح في جوهرها كقضايا فلسفية. بل إن تأسيس مناهج العلم نفسه يتم داخل الفلسفة، من خلال ما يُعرف بـ"فلسفة العلم"، وهذا يبيّن أن الفلسفة لم تمت، وإنما تغير دورها من "أمّ العلوم" إلى "الناقد الداخلي للعلم"<sup>2</sup>.

#### خلاصة:

إن العلاقة بين الفلسفة والعلم ليست ثابتة، بل تطورت عبر التاريخ من خلال التفاعل والتكامل والتمايز. وعلى الرغم من اختلاف المنهج بين الفلسفة، التي تتسم بالتأمل والنقد، والعلم الذي يعتمد على التجريب والتطبيق، إلا أن هذا التمايز لا يعني تعاضداً، بل يعكس اختلاف الأدوار في إطار مشروع معرفي شامل، حيث يبحث العلم في الآليات والكيفيات، بينما تسأل الفلسفة عن الغايات والمعاني، مما يجعل العلاقة بينهما تكاملية. ورغم الانتقادات الموجهة إلى الفلسفة، فإنها لم تفقد أهميتها، بل تجددت لتواكب التحديات العلمية المعاصرة، مما يثبت استمرار دورها في التفكير النقدي.



<sup>1</sup> - هايزنبرغ، الجزء والكل: لقاءات فكرية في فيزياء الذرة، ترجمة: فتحي حسن ملكاوي، المنظمة العربية للترجمة، 2013، ص 118-120.

<sup>2</sup> - أليكس روزنبرج، فلسفة العلم، ترجمة سعيد الغانمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص 164 وما بعدها.

## المحاضرة الحادية عشر الفلسفة والحضارة

تمهيد:

تُعدّ الفلسفة من أقدم وأعمق المساعي الإنسانية؛ التي انشغلت بأسئلة الوجود والمعرفة والقيم، ورغم طابعها التأملي المجرد، يظل تأثيرها في تشكيل الوعي البشري والمجتمعات محل تساؤل: كيف يمكن لأفكار نظرية أن تُسهم في بناء حضارات؟ وهل ترتبط النهضة الحضارية فعلا برؤية فلسفية تسبقها وتوجهها؟ ولماذا كانت كل حضارة كبرى تسبقها دائما لحظة فكرية فارقة تُعيد تعريف الإنسان والعالم؟ هذه الأسئلة تفتح المجال أمام التفكير في العلاقة بين الفلسفة وبناء الحضارات، لا بوصف الفلسفة ترفا عقليًا، بل باعتبارها نواة تأسيسية تتجلى في القيم، والنظم، والمؤسسات. ومن هنا، سنحاول مقارنة هذه العلاقة من خلال نماذج حضارية كبرى كال يونانية، والإسلامية، والغربية الحديثة، لنكشف كيف أسهم الفكر الفلسفي في تشكيل ملامحها.

### أولاً: تعريف المفهومين: الفلسفة والحضارة

لقد تطرقنا سابقا إلى مفهوم الفلسفة، وهو ما يجعلنا في غنى عن إعادة ضبط هذا المفهوم في هذا السياق. فالفلسفة، بوصفها نشاطاً عقلياً تأملياً ونقدياً، قد استقر معناها العام في الأذهان الأكاديمية، ولم تعد في حاجة إلى تعريف أولي جديد لذلك، سيتم تركيزنا على مفهوم الحضارة، من حيث دلالاته اللغوية والاصطلاحية وعلاقته بالبنية الفلسفية التي تُشكّل رؤيته الكونية، وتُسهم في تأسيس معالمه الكبرى عبر التاريخ.

### 1- الحضارة: لغة واصطلاحاً

لغويًا، تُشتق كلمة "الحضارة" من الفعل "حضر"، أي أقام بالمكان وأصبح غير بدوي. وفي لسان العرب، يُقال: "الحضارة نقيض البداوة، وهي الإقامة في الحضر حيث العمران والاستقرار"<sup>1</sup>. أما اصطلاحاً، فقد تعددت تعريفات الحضارة باختلاف المدارس الفكرية، لكنها تشترك في كونها منظومة متكاملة من القيم والمعارف والتنظيمات المادية والمعنوية التي تُتميز مجتمعاً ما عبر الزمن. ويُعرّفها

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، ج3، مادة "حضر"، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 217.

المفكر الجزائري مالك بن نبي بأنها: "جملة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يبني تاريخه"<sup>1</sup> في حين يُعرّفها أرنولد توينبي بأنها: "استجابة خلاقية لتحديد معين يؤدي إلى نشوء نظام اجتماعي قادر على الاستمرار والتجدد"<sup>2</sup>.

ويتضح من هذه التعريفات أن الحضارة لا تُختزل في مجرد تقدم مادي أو تطور تقني، بل هي نتاج تفاعل عميق بين الإنسان والمكان والقيم التي توجه سلوكه وتنظم علاقاته. فهي تعبر عن رؤية شاملة للوجود، تتجسد في أنماط التفكير والعمل والإبداع؛ التي تميز مجتمعًا ما في مرحلة تاريخية معينة. إن الحضارة بهذا المعنى هي منظومة متكاملة من المكونات المادية والروحية، تجمع بين التقدم العلمي والتكنولوجي من جهة، وبين القيم الأخلاقية والروحية من جهة أخرى. وهي لا تقوم فقط على السيطرة على الطبيعة وتسخيرها، بل أيضًا على تنمية الإنسان وبناء وعيه الجمعي وقدرته على التعايش والإبداع. وتتجلى مظاهر الحضارة في اللغة والدين والعلم والنظام السياسي والفنون والاقتصاد، باعتبارها تعبيرات عن الخبرة الإنسانية المشتركة في البحث عن المعنى وتحقيق الرفاه. وهكذا، فالحضارة ليست مجرد تراكم إنجازات، بل تفاعل مستمر بين المادة والروح، بين الفرد والمجتمع، وبين الماضي والمستقبل في سبيل بناء عالم أكثر انسجامًا وإنسانية.

ثانيا: العلاقة بين الفلسفة والحضارة:

### 1- الفلسفة كمرآة للرؤية الكونية للحضارة:

لكل حضارة تصورها الخاص عن العالم: من أين جاء الإنسان؟ ما غايته؟ ما هو الخير؟ كيف تُمارَس السلطة؟ هذه الأسئلة لا يجاب عنها بالأدوات التقنية أو بالمعايير الاقتصادية، بل بالفكر الفلسفي الذي يُنتج رؤية كونية تُوجّه السلوك الجمعي وتحدد مسار الحضارة.

<sup>1</sup> - ابن منظور، المرجع السابق، ص 217.

<sup>2</sup> - عبد الوهاب المسيري، في الحضارة والنهضة، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص 48، 49.

ولهذا، تُعد الفلسفة مرآة تعكس العمق الوجودي والأنطولوجي لكل حضارة، فحين تتبني حضارة ما تصوّرًا ماديًا محضًا للوجود، تنتج نظاماً مادية مماثلة، وحين تتبني رؤية إنسانية أو روحية، تُعيد بناء مؤسساتها بما ينسجم مع ذلك<sup>1</sup>.

## 2- التأسيس النظري لما يصبح لاحقاً واقعا سياسيا أو اجتماعيا

الأفكار الفلسفية لا تبقى حبيسة الكتب، بل تتحوّل عبر الزمن إلى قوانين وتشريعات ومؤسسات فمفاهيم مثل "العدالة" عند أفلاطون، و"الحرية" عند جون ستيوارت ميل، و"الواجب الأخلاقي" عند كانط، كلها بدأت كنظريات فلسفية، لكنها وجدت طريقها إلى التشريعات والدراسات الحديثة. بل إن معظم التحولات التاريخية الكبرى، من الثورة الفرنسية إلى الحركات التحررية الحديثة، كانت مسبقة بتمهيد فلسفي طويل شكّل الأرضية الفكرية للتغيير<sup>2</sup>.

وبذلك، تُعد الفلسفة بمثابة المعمل النظري الذي تُصاغ فيه المفاهيم التي تحدد شكل الدولة، ونمط العلاقات وتوجّه حركة الإنسان في التاريخ. فالفلسفة ليست زينة فكرية، بل هي الوعي الحضاري العميق الذي يسبق ويوجّه كل تطور مادي أو مؤسسي. فكل حضارة مزدهرة، في جوهرها، تعبير عن مشروع فلسفي عميق يتجسّد في عمران وثقافة ونظم.

## ثانياً- الفلسفة كركيزة لبناء الحضارة

ليست الفلسفة ترفاً ذهنياً، بل كانت - على امتداد التاريخ - الركيزة التي تستند إليها البنية العميقة للحضارات. فهي التي تبلور الرؤية الكونية، وتوجّه سلوك الإنسان، وتؤطر مؤسسات المجتمع، وتُسهم في إنتاج المعنى والغاية.

## 1- بلورة الرؤية الكونية

كل حضارة تبدأ من إجابة عن أسئلة كبرى: ما الإنسان؟ ما الكون؟ ما المصير؟ ما الخير والشر؟ هذه الأسئلة لا تجيب عنها التكنولوجيا أو الاقتصاد، بل تُعالج ضمن منظومة فلسفية تؤسّس لتصور شامل للوجود. فالفلسفة تقدم الإطار النظري لفهم علاقة الإنسان بالعالم، وتُعيد تأصيل أسئلة الغاية والمعنى في

<sup>1</sup>- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 23.

<sup>2</sup>- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5، 2006، ص 97.

قلب المشروع الحضاري<sup>1</sup>، وحين يُؤسّس هذا التصور، يتولّد عنه نسق من القيم، ويترجم تدريجيًا إلى بنى ثقافية واجتماعية وقانونية.

## 2- نقد الواقع وإعادة توجيهه

الفلسفة لا تكتفي بالتأسيس، بل تقوم بوظيفة نقدية تحليلية تُعيد مساءلة الواقع، وتكشف ما فيه من تناقضات وتحيزات. ولهذا، كانت الفلسفة دائماً على تماسّ مع التحولات التاريخية الكبرى، لأنها تمثل ضمير الحضارة ومحركها الخفي.

فمن خلال أدواتها المفهومية، تُعيد الفلسفة التفكير في الأنظمة القائمة، وتفتح المجال لتصورات بديلة أكثر عدلاً وعقلانية<sup>2</sup>. ولا تكتفي الفلسفة بوصف الواقع أو قبوله كما هو، بل تسعى إلى تفكيك بنياته وتحليل مسلماته من خلال أدوات مفهومية مثل: المفارقة، والتحليل المنطقي، والمساءلة الأخلاقية، والتأويل النقدي. هذه الأدوات تُمكنّ الفلسفة من الكشف عن اللامفكر فيه داخل النظام الاجتماعي أو السياسي وتُظهر التحيزات أو الظلم المتوارث فيه.

وينبغي التأكيد على أن الفلسفة لا تهدم مجرد الهدم، بل تفتح المجال لتصورات بديلة، أكثر إنسانية وعدالة وعقلانية، لأن غايتها ليست فقط انتقاد الواقع، بل المساهمة في بناء واقع أفضل يقوم على أسس فكرية متينة، وهنا يظهر وجه الفلسفة المزدوج: فهي نقدية في جوهرها، لكنها أيضاً اقتراحية وإبداعية تهدف إلى تجاوز المآزق لا الوقوف عنده.

## 3- بناء القيم والمؤسسات

ليست المفاهيم الكبرى التي تقوم عليها الحضارات، مثل العدالة، الحرية، العقل، المساواة وليدة الواقع بل هي نتاج فلسفي سبق ظهوره على شكل قوانين أو دساتير، فأفلاطون، مثلاً، نظرّ للعدالة في "الجمهورية" بوصفها مبدأً مؤسساً للدولة الفاضلة، ثم تطوّر المفهوم لاحقاً في فلسفات الحداثة ليصير أساساً لنظم

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال العمل: بحث في الأصول العملية في الفكر والعقل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002 ص 55.

<sup>2</sup> - علي حرب، نقد النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2003، ص 71.

القانون وحقوق الإنسان<sup>1</sup>، وهكذا، فالفلسفة تُنضج القيم وتُنقيها، لتصبح قابلة للتحوّل إلى مؤسسات حية تُوجّه حركة المجتمع.

ومن خلال بلورة الرؤية الكونية الشاملة التي تفسر علاقة الإنسان بالعالم وبالوجود، ومن خلال نقد الواقع القائم وإعادة توجيهه نحو ما ينبغي أن يكون، تُمارس الفلسفة دورها المحوري في بناء الحضارة وتوجيه مسارها. فالفيلسوف لا يكتفي بوصف الواقع، بل يسعى إلى تغييره وتأسيس قيم جديدة تُوجّه السلوك الإنساني وتُسهّم في إنشاء المؤسسات التي تجسّد هذه القيم على أرض الواقع.

إن الفلسفة، بما تمتلكه من قدرة على التأمل والنقد والتساؤل حول الغايات والمعاني، تزوّد الحضارة بأسسها الفكرية والأخلاقية، وتمنحها الاتجاه والمعنى الذي يميزها عن مجرد التقدم المادي. فكل إنجاز حضاري حقيقي هو في جوهره تجسيد لفكرة فلسفية عميقة كانت وراءه، سواء تعلق الأمر بفكرة الحرية، أو العدالة، أو العقل، أو الكرامة الإنسانية.

وهكذا، يمكن القول إن الفكر الفلسفي؛ هو روح الحضارة التي تمنحها هويتها ووجهتها، فحين يضعف الوعي الفلسفي، تفقد الحضارة توازنها ومعناها، وحين يزدهر، ترتقي الإنسانية في وعيها وقيمها وإبداعها.

### ثالثاً- تجلّيات الفلسفة في بناء الحضارات الكبرى

حين ننظر في التاريخ، نجد أن الحضارات الكبرى لم تكن وليدة القوة العسكرية أو الثراء الاقتصادي فقط، بل تأسست دائماً على مشروع فكري وفلسفي متكامل. لقد كانت الفلسفة الحاضن الأعمق للرؤية الحضارية، تُؤسّس للقيم، وتُحدّد الغايات، وتُنتج التصورات التي تتحول لاحقاً إلى أنظمة وسلوكيات جماعية. وسنقف عند ثلاث نماذج حضارية كبرى، تجلّي فيها هذا الدور بشكل لافت:

#### 1- الحضارة اليونانية: الفلسفة في أصل المدينة

في اليونان القديمة، لم تكن الفلسفة فرعاً من المعرفة، بل كانت الروح التي أنعشت الفكر والسياسة والتربية. لقد شكّلت كتابات سقراط وأفلاطون وأرسطو؛ حجر الأساس لتصور اليونانيين عن الدولة والعدالة والتربية. فأفلاطون، مثلاً، لم يفصل بين الفيلسوف والحاكم، بل دعا إلى أن يتولى الحكم من يمتلك

<sup>1</sup> - أفلاطون، الجمهورية، الكتاب الرابع، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 118.

"الحكمة" بوصفها أعلى فضيلة، لأن المجتمع العادل لا يقوم إلا على رؤية فلسفية واضحة للخير<sup>1</sup>، لقد كانت الفلسفة عند اليونان الأداة التي صاغت معنى "المدينة" بوصفها كياناً عقلياً وأخلاقياً، وليست مجرد تجمع بشري.

## 2- الحضارة الإسلامية: الفلسفة كجسر بين العقل والوحي

في السياق الإسلامي، لم تُقَصِّ الحضارةُ الفلسفةَ، بل استوعبتها وأعادتها توجيهها، فكان أن ظهرت مشاريع فكرية ضخمة على يد الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، وغيرهم، حيث سعت إلى التوفيق بين الحكمة والشريعة، والعقل والنقل. الفارابي - الملقب بـ "المعلم الثاني" - صاغ تصوّراً للدولة الفاضلة مستلهما من أفلاطون، لكنه ربطها بقيم النبوة والوحي<sup>2</sup>، أما ابن رشد، فقد دافع عن الفلسفة بوصفها لا تتعارض مع الدين، بل إنها ضرورية لفهم الشرع على نحو عقلي عميق<sup>3</sup>. وهكذا، أسهمت الفلسفة في إنتاج حضارة عقلية وروحية متوازنة، جمعت بين الإيمان والتفكير النقدي.

## 3- الحضارة الغربية الحديثة: الفلسفة تؤسس الحداثة

لم تكن الحداثة الغربية إلا ثمرة لتحولات فلسفية كبرى بدأت مع ديكارت، وامتدت إلى كانط وهيغل وماركس وغيرهم. فقد مهّدت فلسفة الأنوار الطريق أمام مفاهيم مثل العقل، الفرد، الحرية، والكرامة الإنسانية، وهي التي أصبحت لاحقاً أساساً للديمقراطيات الحديثة.

ديكارت أعاد بناء اليقين على أساس "أنا أفكر إذن أنا موجود"، وهي لحظة فاصلة في تاريخ العقل الغربي<sup>4</sup> أما كانط فقد جعل من العقل الأخلاقي أساساً للحرية والواجب، داعياً إلى خروج الإنسان من حالة القصور العقلي إلى استخدام عقله بلا وصاية<sup>5</sup>، وبهذا تحوّلت الفلسفة من نشاط تأملي إلى قوة ثورية تُعيد صياغة العالم والمجتمع.

<sup>1</sup> - أفلاطون، الجمهورية، الكتاب السابع، مرجع سابق، ص 214.

<sup>2</sup> - الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق: البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، 1985، ص 47.

<sup>3</sup> - ابن رشد، فصل المقال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص 32.

<sup>4</sup> - ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، مكتبة النهضة، بيروت، 1968، ص 27.

<sup>5</sup> - كانط، ما هو التنوير؟، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت 2005، ص 12.

وهكذا يمكننا القول بأنه وفي كل من الحضارة اليونانية، الإسلامية، والغربية الحديثة، كانت الفلسفة هي الركيزة التي أطلقت شرارة النهضة، والإطار الذي من خلاله شُيِّدت القيم، والنظم، والرؤية المستقبلية. فليست الحضارة إذًا بناءً ماديًا فقط، بل مشروعًا عقليًا وأخلاقيًا يبدأ من الفلسفة.

### رابعاً: راهنية الفلسفة في المشروع الحضاري المعاصر

رغم التقدّم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي يشهده العصر الحديث، فإن المجتمعات المعاصرة لا تزال تُواجه أزمات وجودية وأخلاقية ومعرفية، تكشف عن حاجة متجددة للفكر الفلسفي، لا باعتباره ترفاً نُخبويًا، بل كضرورة حضارية لاستعادة التوازن بين الوسائل والغايات، بين المادة والمعنى.

### 1- الفلسفة في مواجهة الأزمات المعاصرة

تعيش البشرية اليوم في عالمٍ متسارع يتسم بسيطرة التقنية، وتفكك المعنى، وتراجع القيم. من أزمة الاحتباس الحراري إلى الذكاء الاصطناعي، ومن اللامساواة الاقتصادية إلى فقدان المعنى الروحي، تظهر الحاجة إلى خطاب فلسفي يُعيد مساءلة هذا الواقع، وي طرح أسئلةً جوهرية مثل: ما الذي يجعل التقدّم نافعاً للإنسان؟ ما الغاية من هذه الوفرة التقنية إذا لم تُسهم في السعادة أو العدالة؟

لقد أشار مارتين هايدغر إلى أن "الخطر الأكبر ليس في الآلة، بل في أننا لم نعد نفكر في ماهيتها"<sup>1</sup> مؤكداً أن التقنية بحاجة إلى تأطير فلسفي يضبط علاقتها بالإنسان لا أن تسيطر عليه.

### 2- الفلسفة واستعادة الإنسان

وسط تصاعد النزعات الاستهلاكية والتفاهة الرقمية، تُعيد الفلسفة الاعتبار للإنسان كذات عاقلة وأخلاقية، لا ككائن استهلاكي. فالفكر الفلسفي يفتح المجال أمام التأمل، والحوار، والاختلاف الخلاق مما يتيح بناء مجتمع أكثر نضجاً ومسؤولية. وقد شدّد طه عبد الرحمن على ضرورة تجديد الفلسفة من داخل منظومتنا الحضارية، عبر ما سمّاه بـ"التفلسف المفتوح" الذي يجمع بين الأصالة والانفتاح.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - هايدغر، السؤال عن التقنية، ترجمة: عبد الغفار مكاي، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص 21.

<sup>2</sup> - طه عبد الرحمن، روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، ص 38.

### 3- ضرورة الفلسفة في مؤسسات التربية والسياسة

من أخطر مظاهر الأزمة الحضارية المعاصرة؛ تهميش الفلسفة في مؤسسات التعليم والإعلام والسياسة رغم أن هذه المجالات تَمَسُّ مباشرة وعي الإنسان واتجاهاته. فالمؤسسات التي لا تقوم على تفكير نقدي وفهم فلسفي تكون عرضة للتكرار، والخضوع، وتفشي العنف الرمزي، لأن غياب الفلسفة يعني غياب القدرة على التمييز، والمسؤولية، والحوار.

لقد كان سقراط محمّلاً حين قال: "الحياة التي لا يُفكر فيها الإنسان، لا تستحق أن تُعاش"<sup>1</sup> وفي زمن الأزمات الكبرى والانفجارات المعرفية، تصبح الفلسفة ضرورة حضارية لا غنى عنها. إنها البوصلة التي تساعد المجتمعات على عدم الضياع في تفاصيل التقدّم، وتُعيد ربط الإنسان بالمعنى، وبمشروعه الأخلاقي والتاريخي.

#### خلاصة:

إن استعراض العلاقة بين الفلسفة والحضارة يُظهر بوضوح أن الفكر الفلسفي لم يكن يوماً هامشياً في مسار التاريخ الإنساني، بل مثل دائماً البذرة التي نبتت منها الحضارات الكبرى، والنبراس الذي أنار دربها في أزمنتها المظلمة.

لقد رأينا كيف أن الفلسفة تُنتج الرؤية الكونية، وتؤسّس القيم، وتنتقد الواقع، وتُعيد توجيهه، وتُجسّد في مؤسسات وقوانين وسلوك جمعي. من أفلاطون في المدينة الفاضلة، إلى ابن رشد في الدفاع عن العقل والدين، إلى كانط وهيغل وماركس في تفكيك الحداثة وإعادة تشكيلها، ظلت الفلسفة قوة مولّدة للتاريخ.

وفي عالم اليوم، حيث يهيمن التسطيح الإعلامي، والتقنية المنفلتة، والنزعات الاستهلاكية، تبدو الحاجة أكثر إلحاحاً إلى عودة الفلسفة إلى المجال العام، ليس بصفتها خطاباً نُخبوياً، بل مشروعاً ثقافياً يحرّر الإنسان من الانغلاق والتكرار، ويعيد ربطه بالمعنى والمسؤولية والحرية. فكما أن كل حضارة عظيمة تبدأ بفكرة، فإن أي مشروع نهضوي معاصر يستحيل أن ينهض دون تأصيل فلسفي واعٍ



<sup>1</sup> - أفلاطون، الدفاع عن سقراط، ترجمة: عزت قربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1999، ص 37.

## المحاضرة الثانية عشر

### الفلسفة والتربية

#### تمهيد:

في عمق كل عملية تربية يكمن تصور ما عن الإنسان، عن المجتمع، وعن العالم الذي يُراد العيش فيه. التربية لا تنفصل عن الرؤية التي يحملها المجتمع عن ذاته، ولا تُمارَس بمعزل عن خلفيات فكرية وقيمية تبرر غاياتها وتوجّه أساليبها. وحين تصبح التربية مجرد وسيلة لتلقي المعلومات أو إنتاج السلوك المرغوب يُفقد بعدها الأعمق المتعلق بتشكيل الوعي وبناء الإنسان. هنا تبرز الفلسفة، لا بوصفها مجالاً نظرياً معزولاً بل باعتبارها أداة لفهم المعنى، وتفكيك المسلّمات، والنظر فيما إذا كانت الطرق التي تُربي بها تخدم حقاً الأهداف التي نعلنها. في هذا التقاطع بين الفكر والممارسة، بين السؤال والعمل، تنشأ العلاقة المعقدة بين الفلسفة والتربية، علاقة لا تزول الحاجة إلى إعادة النظر فيها كلما تغيرت السياقات وتبدلت الرهانات.

#### أولاً- التربية: المفهوم، الأبعاد، والدلالات الفلسفية الضمنية

تُعدّ التربية من أكثر المفاهيم تداولاً في الفكر الإنساني، ومع ذلك تظل من أكثرها مراوغة وغموضاً عند التحديد الدقيق. فهي تبدو للوهلة الأولى عملية بسيطة تُمارَس في البيت أو المدرسة أو المجتمع، لكنها في جوهرها فعلٌ مركّبٌ تتداخل فيه الأبعاد النفسية، الاجتماعية، الثقافية، والمعرفية. والتربية، بهذا المعنى، لا تُفهم فقط من خلال ما تُقدّمه من محتوى معرفي أو مهاري، بل من خلال ما تُنتج من تصور للإنسان ودورٍ له في العالم<sup>1</sup>.

#### 1- التعريف اللغوي والمفهوم الاصطلاحي للتربية

لغويًا، تُشتق كلمة "تربية" من الفعل "ربى"، الذي يشير إلى النمو والارتقاء والاعتناء بالشيء حتى يصل إلى الكمال والنضج<sup>2</sup>. إن اشتقاق مصطلح "التربية" من الجذر "ربى" في اللغة العربية، بما يحمله من دلالات النمو والارتقاء والرعاية المستمرة، يُبرز منذ البداية أن التربية ليست مجرد عملية تلقي أو نقل للمعلومات، بل هي سيرورة تدرجية متكاملة تُعنى ببناء الإنسان في مختلف أبعاده. هذا المعنى اللغوي يُؤسس

<sup>1</sup>- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، ص420.

<sup>2</sup>- ابن منظور، لسان العرب، ج3، دار صادر، بيروت، 1998، ص142.

لتصور فلسفي عميق مفاده أن التربية فعل بنائي طويل الأمد، يتطلب عناية وصبرًا وتوجيهًا نحو الكمال الإنساني، لا مجرد إعداد وظيفي أو تقني.

أما من الناحية الاصطلاحية فتُعرّف التربية بأنها عملية مقصودة ومستمرة تهدف إلى تنمية شخصية الإنسان في جوانبها كافة - العقلية، الأخلاقية، النفسية، والاجتماعية - بما ينسجم مع قيم المجتمع وثقافته ويُهيئُه للاندماج والمشاركة الفاعلة في الحياة<sup>1</sup>، وقد عرّفها عبد الرحمن بدوي بأنها "تنشئة الفرد وتكوينه بما ينسجم مع قيم المجتمع وثقافته"<sup>2</sup>، في حين ينظر إليها باولو فريري من زاوية تحررية، معتبرًا إياها "عملية تهدف إلى تنمية وعي الفرد بذاته ومحيطه"<sup>3</sup>.

ومن خلال الربط بين المعنى اللغوي للتربية، الذي يُشير إلى الرعاية والنمو والارتقاء التدريجي، والمعنى الاصطلاحي الذي يركّز على تنمية قدرات الإنسان وتوجيهه نحو الكمال، يتّضح أن التربية ليست مجرد عملية تعليمية آنية، بل هي مسار بنائي شامل ومتكامل يستهدف الإنسان في كليته: فكريًا، ووجدانيًا، وسلوكيًا.

فالتربية عملية متدرجة ومستمرة، ترافق الإنسان منذ طفولته إلى نضجه، وتهدف إلى تحقيق التوازن بين الجوانب العقلية والأخلاقية والاجتماعية في شخصيته. إنها لا تقتصر على نقل المعارف أو تلقين المهارات، بل تسعى إلى تكوين إنسان قادر على الفهم والنقد والإبداع والمسؤولية.

ومن هذا المنظور، تكتسب التربية بعدا استراتيجيًا طويل الأمد، إذ تُعدّ الوسيلة الأساسية لبناء الذات الإنسانية والمجتمع معًا، من خلال غرس القيم وتشكيل الوعي وتوجيه الإرادة نحو الخير والحق والجمال. إنها بذلك تتجاوز التعليم إلى تحقيق الإنسان في أسمى معانيه، أي بناء شخصٍ حرّ، متكامل، ومسؤول عن ذاته وعن العالم الذي يعيش فيه.

## 2- الأبعاد المتعددة للتربية:

تتسم التربية بتعقيدها وتعدد أبعادها، فهي عملية شاملة تتداخل فيها عدة مستويات:

<sup>1</sup> - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة: عادل مصطفى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص 40.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3، 1984، ص 420.

<sup>3</sup> - فريري، تربية المقهورين، ترجمة فؤاد حسن، دار القلم، بيروت، 1980، ص 35.

- البعد المعرفي: حيث تهدف التربية إلى تنمية القدرات الفكرية للإنسان، وتعزيز التفكير النقدي والقدرة على التحليل والفهم.
- البعد الأخلاقي: إذ تقوم التربية على غرس القيم والمبادئ، التي توجه سلوك الفرد وتنظم علاقته بالآخرين مثل العدالة، الصدق، والاحترام.
- البعد الاجتماعي: الهدف منه إعداد الفرد ليكون عضوًا فاعلاً ومسؤولًا في مجتمعه، قادرًا على المشاركة في الحياة الاجتماعية والثقافية.
- البعد النفسي والوجداني: الذي يعنى بتنمية المشاعر والعواطف، مثل الثقة بالنفس والتعاطف، لتعزيز التوازن الشخصي.

### 3- الدلالات الفلسفية الضمنية في التربية

التربية لا تنفصل عن خلفية فلسفية؛ تتعلق بتصوير الإنسان وطبيعته وأهداف وجوده. فهي تُعبّر، في جوهرها، عن توجهات فكرية وقيمية تحدد -بصراحة أو ضمناً- ماذا نريد أن نصنع من الإنسان الذي نربيه، وما الصفات التي ينبغي أن يتصف بها. فكل فلسفة تحمل في طياتها رؤية خاصة للإنسان، وتبعًا لذلك تفرض نمطًا خاصًا من التربية. فالفلسفة المثالية، على سبيل المثال، تركز على تنشئة الإنسان بوصفه كائنًا روحيًا وعقليًا، يُسعى به نحو الكمال الأخلاقي والمعرفي<sup>1</sup>.

أما الواقعية، فتعطي الأولوية للمعرفة العملية التجريبية، مؤكدة على أهمية ما يُدرك بالحواس ويُثبت بالتجربة<sup>2</sup>، في حين تدعو الفلسفة البراغماتية إلى اعتماد التعلم النشط والتجربة الحية وسيلة لتنمية التفكير النقدي، مؤكدة على تفاعل الفرد مع بيئته<sup>3</sup>، أما الوجودية، فتتنظر إلى الإنسان بوصفه مشروعًا حرًا مفتوحًا يتحدد من خلال اختياراته الفردية ومسؤوليته عن ذاته، وتدعو إلى تربية تُحرّر الفرد ليُكوّن قيمه ويصوغ وجوده الخاص<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - أفلاطون، الجمهورية، ترجمة محمد عبد السلام عارف، دار المعارف، القاهرة، 2007، ص120.

<sup>2</sup> - جون لوك، مقالة عن الفهم البشري، ج2، ترجمة محمد عبد الله عنان، دار الفكر العربي، بيروت، 1995، ص282.

<sup>3</sup> - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ص52.

<sup>4</sup> - جان بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة أحمد فؤاد باشا، دار الثقافة، القاهرة، 1982، ص70.

من هنا يتبين أن العملية التربوية، وإن كانت في ظاهرها تقنية أو مؤسساتية، إلا أنها في عمقها ترجمة عملية لفلسفة الإنسان والمجتمع والغاية من الوجود. فاختيار المناهج، والطرائق، والقيم التي تُنقل - كل ذلك ينبع من خلفية فكرية فلسفية تُحدّد "نوع الإنسان" الذي يُراد تكوينه، مما يمنح التربية طابعًا فلسفيًا ملازمًا لا يمكن فصله عنها.

ونظرًا لأن التربية تُمارس داخل سياقات ثقافية وفكرية محددة، فإنها لا تخلو من مضمون فلسفي، حتى وإن لم يُصرّح به بشكل مباشر. فكل قرار تربوي، سواء تعلّق بالمحتوى الذي نُقدّمه، أو بطريقة تقديمه، أو بمن نُوجّهه إليه، أو بالغاية المرجوة منه، يعكس بصورة أو بأخرى رؤية فلسفية ضمنية للإنسان والمجتمع والمعرفة. من هنا، كانت التربية، عبر التاريخ، مرتبطة بمحاولة الإجابة عن سؤال محوري: ما نوع الإنسان الذي نرغب في تشكيله؟ هل هو إنسان خاضع، منسجم مع الواقع، أم إنسان ناقد، قادر على تغييره؟ هل نُعدّه ليكون أداة في سوق العمل، أم شريكًا في مشروع حضاري أوسع؟ في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم المعاصر، ازدادت مهمة التربية تعقيدًا، وأصبحت في حاجة ماسة إلى تفكير فلسفي عميق يعيد مساءلة الأسس، ويختبر مشروعية الأهداف، ويُراجع كثيرًا من الفرضيات التي طالما اعتُبرت مسلّمات. وهنا تتضح العلاقة الجدلية بين الفلسفة والتربية؛ علاقة تجعل من التربية ليس مجرد امتداد تطبيقي للفكر الفلسفي، بل مجالًا حيًا لاختبار مدى واقعية الفلسفات وقابليتها للتحقق ضمن الشروط الاجتماعية والتاريخية المعاصرة.

## ثانياً- الفلسفة كموجه للتربية: الأسس والرؤى والتطبيقات

تلعب الفلسفة دورًا جوهريًا في توجيه العملية التربوية، إذ هي التي ترسم خارطة الطريق لما يُفترض أن تكون عليه التربية، من خلال الإجابة على أسئلة عميقة حول طبيعة الإنسان، والغاية من وجوده، والطريقة المثلى لنموه الفكري والأخلاقي والاجتماعي. هذه الأسئلة الفلسفية ليست مجرد قضايا نظرية بعيدة عن الواقع، بل هي صلب كل ممارسة تربوية، إذ تحدد الأهداف النهائية للتربية والأساليب التي تُستخدم لتحقيقها.

على سبيل المثال، الفلسفة المثالية التي تركز على أفكار أفلاطون تضع العقل والروح في مركز الاهتمام، وتؤكد على أهمية غرس الفضائل والقيم الأخلاقية في المتعلم، بحيث لا يكون الهدف هو مجرد

تحصيل المعرفة، بل بناء الإنسان الفاضل الذي يمتلك الحكمة والعدالة، في هذا الإطار، تُعتبر التربية عملية إرشاد للعقل والروح نحو الكمال.

وفي المقابل، تركز الفلسفة الواقعية على المعرفة الحسية والتجريبية، وتنطلق من فكرة أن التعليم يجب أن يكون مرتبطاً بالواقع المادي وبخبرات الحياة اليومية، ولذلك تُعنى بتعليم العلوم والتقنيات التي تمكن الإنسان من التعامل مع بيئته بفعالية، وهكذا، فإن هذه الرؤية التربوية ترى في التعليم وسيلة لإعداد الإنسان ليكون عضواً منتجاً في المجتمع.

أما الفلسفة البراغماتية، التي طورها فلاسفة مثل جون ديوي، فهي تؤكد على تجربة المتعلم كنقطة انطلاق للتعليم، وترى أن التربية يجب أن تُبنى على حل المشكلات وتنمية التفكير النقدي، بعيداً عن الحفظ والتلقين، في هذا السياق، يُنظر إلى المدرسة كمختبر تجريبي يُشجع المتعلم على المشاركة الفاعلة والاستكشاف، مما يعزز من قدراته على التفكير النقدي والابتكار.

ومن جهة أخرى، الفلسفة الوجودية تؤكد على حرية الفرد في بناء ذاته واختيار قيمه، وترى أن التربية يجب أن تساعد المتعلم على مواجهة الاغتراب والعبث في الحياة، من خلال تشجيع البحث عن المعنى الشخصي، وانطلاقاً من ذلك لا تُفرض القيم أو الأهداف على المتعلم، بل يُمنح الحرية ليصوغ هويته بنفسه.

هذه التعددية الفلسفية في مقاربات التربية؛ تؤكد أن الفلسفة ليست رفاهية فكرية، بل ضرورة عملية لأنها تُهيئ الأساس الفكري لكل نظام تربوي، وتُسهّم في صياغة المناهج، وتحديد طرق التدريس، والغايات التي تُسعى لتحقيقها. ومن هنا، لا يمكن فصل التربية عن الفلسفة، إذ أن كل قرار تربوي هو في جوهره قرار فلسفي يتعلق بماهية الإنسان، وطبيعته، ومستقبله.

وفي السياق المعاصر، يُلاحظ أن أنظمة التربية الحديثة بدأت تأخذ بعين الاعتبار أهمية الفلسفة النقدية التي تدعو إلى توسيع نطاق التفكير لدى المتعلم، وتعليمه كيف يتساءل ويشكك بدلاً من تلقين المعلومات فقط. وهذا التوجه يعكس الحاجة الملحة إلى بناء جيل قادر على مواجهة تحديات العصر المتسارعة، مثل العولمة، والتكنولوجيا، وقضايا البيئة والعدالة الاجتماعية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - فريري، تربية المقهورين، مرجع سابق، ص 82.

وفي النهاية، فإن الفلسفة تمثل حجر الزاوية في بناء منظومة تربوية متكاملة، تتجاوز مجرد نقل المعرفة لتشمل بناء الإنسان الواعي، الناقد، والمسؤول عن نفسه ومجتمعه.

### ثالثاً- المدارس الفلسفية وتأثيرها على أنماط التربية

تشكل المدارس الفلسفية المختلفة إطاراً نظرياً متنوعاً؛ يُرشد إلى طرق متعددة لفهم التربية وتنظيمها ويعكس هذا التنوع اختلاف النظرة إلى الإنسان وطبيعته، وإلى الهدف من التربية نفسها. فمثلاً، تؤكد المدرسة المثالية، كما في أفكار أفلاطون، أن التربية تهدف إلى تنشئة العقل والروح لتحقيق الكمال الأخلاقي والفكري، حيث يُنظر إلى التعليم كوسيلة لصقل الفضائل وغرس القيم، مع التركيز على الفلسفة والعلوم النظرية. وفي المقابل، تركز المدرسة الواقعية على العالم المادي والتجربة الحسية، وترى أن التربية يجب أن تجهز المتعلم للتعامل مع الواقع العملي، من خلال تعليم العلوم التطبيقية والمهارات القائمة على الملاحظة والتجربة. أما المدرسة البراغماتية، التي طوّرها جون ديوي، فتطرح التربية كعملية نشطة وتفاعلية؛ تهدف إلى تنمية التفكير النقدي من خلال التعلم القائم على الخبرة والممارسة، مما يحوّل دور المعلم إلى ميسر للتعلم. في حين تمنح المدرسة الوجودية أهمية كبرى لحرية الفرد في اختيار قيمه ومبادئه، مؤكدة أن التربية ينبغي أن تعزز بناء الذات الواعية القادرة على اتخاذ قراراتها بحرية ومسؤولية.

ومن خلال هذا التنوع، يتضح أن التربية ليست ميداناً واحداً ثابتاً، بل هي مساحة للحوار المستمر بين رؤى متباينة تسعى كل منها إلى تشكيل الإنسان؛ وفق تصورها الخاص للحياة والمعرفة، هذه المدارس الفلسفية تُبيّن أن التربية ليست ميداناً واحداً ثابتاً، بل هي مساحة للحوار والتنوع تعكس رؤى متباينة حول الإنسان والحياة. ولذلك، فإن اختيار فلسفة التربية يؤثر بشكل مباشر على تصميم المناهج، وأساليب التدريس، وكذلك على طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم.

وفي السياق الحديث، يلاحظ اندماج بعض هذه الرؤى، كما في النظم التربوية التي تحاول الجمع بين الجانب المعرفي العملي والبعد الأخلاقي والنقدي، بهدف إعداد أفراد قادرين على مواجهة متطلبات العصر المعقدة والمتغيرة بسرعة.

## رابعاً- فلسفة التربية في السياق المعاصر- تحديات ورؤى جديدة

في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم اليوم، تواجه فلسفة التربية تحديات كبيرة ومتنوعة، دفعت إلى إعادة النظر في المفاهيم التقليدية وأهداف التربية وأساليبها. لم تعد التربية تُفهم فقط كعملية نقل المعرفة، بل أصبحت إطاراً لإعداد الإنسان لمواجهة عالم معقد يتطلب قدرات متعددة، من التفكير النقدي إلى الإبداع والتكيف مع التغير المستمر.

أحد أبرز التحديات التي تواجه التربية المعاصرة؛ هو كيفية دمج التكنولوجيا الحديثة في العملية التعليمية دون أن يفقد المتعلم البعد الإنساني والقيمي، فالتكنولوجيا تُقدم فرصاً هائلة لتوسيع آفاق التعلم، لكنها قد تخلق أيضاً فجوات معرفية واجتماعية، إذا لم تُستخدم بحكمة.

ويبرز تحدي التنوع الثقافي والاجتماعي في المجتمعات الحديثة، مما يستدعي فلسفة تربوية تستوعب هذا التنوع، وتُعزز من قيم التسامح والاحترام المتبادل، بدلاً من التركيز على التنشئة في قالب واحد جامد وهذا يستوجب مراجعة المناهج وأساليب التعليم؛ لتشمل المعرفة متعددة الأبعاد وتشجع الحوار والتفاهم. كما تفرض قضايا البيئة والاستدامة نفسها على التربية، حيث يرى كثير من المفكرين أن التربية يجب أن تُساهم في بناء وعي بيئي يُدرك أهمية حماية الكوكب<sup>1</sup>، هذه الرؤية توسّع من مفهوم التربية ليشمل بعداً كونياً، لا يقتصر على الإنسان فقط، بل يشمل علاقة الإنسان بالطبيعة.

ومن الناحية الفلسفية، تتجه التربية المعاصرة إلى تبني نظريات تعلم نشطة ومشاركة، تدمج بين التفكير النقدي والابتكار، مع تعزيز القيم الأخلاقية والعدالة الاجتماعية، ويتسم هذا التوجه بدمجه بين البعدين المعرفي والتقني، مع إعادة صياغة مستمرة لأهدافه؛ استجابةً لحاجات الإنسان وتحديات المجتمع المعاصر.

## خامساً: العلاقة الجدلية بين الفلسفة والتربية - التكامل والتأثير المتبادل

تتميز العلاقة بين الفلسفة والتربية؛ بأنها علاقة جدلية وثيقة تتسم بالتكامل والتفاعل المستمر، حيث لا يمكن لأي منهما أن يُفهم أو يُمارس بمعزل عن الآخر. فالفلسفة، بوصفها نظاماً فكرياً منظماً، تضع الأسس النظرية التي تُحدد ماهية التربية، أهدافها، ووسائلها، بينما تُعد التربية ميدان التطبيق العملي لهذه الأفكار، وفضاءً لاختبار مدى صلاحيتها وفعاليتها في تشكيل الإنسان والمجتمع.

<sup>1</sup> - ديفيد أور، التربية والبيئة: تعلّم البقاء، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2009، ص. 42.

وتبدأ هذه العلاقة من الأسئلة الفلسفية الكبرى التي تتناول طبيعة الإنسان، ونشأته، وغاية وجوده وكيفية تحقيق الكمال والعدالة والسعادة. هذه الأسئلة، التي تنبثق من الفلسفة، تُترجم إلى ممارسات تربوية تهدف إلى بناء شخصية الفرد وتوجيهه نحو تحقيق تلك الغايات. فمثلاً، يطرح الفيلسوف جون ديوي في كتابه الديمقراطية والتربية أن التربية ليست مجرد نقل للمعلومات، بل هي تجربة حياتية متكاملة تهدف إلى تنمية التفكير النقدي والقدرة على حل المشكلات، مع تعزيز قيم المشاركة والديمقراطية<sup>1</sup>.

من جهة أخرى، تؤثر التربية على الفلسفة بشكل مستمر، إذ أن التحديات العملية التي تواجهها الأنظمة التربوية تطرح أسئلة جديدة على الفكر الفلسفي، تدفعه إلى إعادة النظر في مفاهيمه وأطروحاته ففي عصر الرقمنة والتقنيات الحديثة، على سبيل المثال، برزت تساؤلات حول تأثير التكنولوجيا على طريقة تعلم الأفراد، وحرية المتعلم في الوصول إلى المعرفة، وما إذا كانت هذه التكنولوجيا تساهم في تعزيز العدالة التعليمية أو تعمق الفجوات الاجتماعية، هذه القضايا تُثري الفكر الفلسفي وتجعله أكثر تفاعلاً مع الواقع. والأمر نفسه ينطبق على قضايا العدالة والحرية في التعليم، حيث تتطلب الممارسات التربوية معايير جديدة تراعي التنوع الثقافي والاجتماعي، وتُعيد صياغة مفاهيم الحرية والمسؤولية بطريقة تُلائم الظروف المعاصرة. وهذا يجعل من التربية مجاًلاً غنياً بالملاحظات والتجارب التي تغذي البحث الفلسفي.

إن العلاقة الجدلية بين الفلسفة والتربية ليست علاقة أحادية الجانب، بل هي علاقة دائرية مستمرة حيث تقدم الفلسفة الأفكار والمبادئ التي تُطبق في التربية، والتربية بدورها تُنتج خبرات وتحديات تُعيد صياغة الأفكار الفلسفية. وبهذه الطريقة، يصبح كل من الفلسفة والتربية ميدانين متوازنين ومتفاعلين يدعمان بعضهما البعض في تحقيق الهدف المشترك، وهو بناء إنسان متكامل قادر على التفكير، والإبداع والعيش بتوازن اجتماعي وأخلاقي.

### خلاصة:

تُعد الفلسفة بمثابة الإطار الفكري الذي يُحدد ماهية التربية وأهدافها، فتختلف المدارس الفلسفية في رؤاها للإنسان والمعرفة، وهو ما ينعكس على أساليب التربية وأهدافها. فالمثالية تركز على بناء الفضائل والروح والواقعية تؤكد على المعرفة التجريبية، بينما البراغماتية تشجع التعلم النشط والابتكار، والوجودية تُبرز

<sup>1</sup> - جون ديوي، الديمقراطية والتربية: مدخل إلى الفلسفة التربوية، ترجمة جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980، ص 115.

حرية الفرد في اختيار قيمه. وفي العصر الحديث، تواجه التربية تحديات متعددة مثل التكنولوجيا، التنوع الثقافي، وقضايا البيئة، مما يستدعي فلسفات تربوية أكثر مرونة وديناميكية، تجمع بين التفكير النقدي الإبداع، والقيم الأخلاقية. إن العلاقة بين الفلسفة والتربية هي علاقة جدلية متبادلة؛ فالفلسفة تقدم الإطار النظري، والتربية تختبر هذه الأفكار عمليًا وتعيد طرح تحديات جديدة على الفكر الفلسفي، مما يثري كلا المجالين. هذا التكامل يضمن بناء منظومة تربوية قادرة على إعداد الإنسان الكامل؛ لمواجهة متطلبات الحياة المعاصرة.



## المحاضرة الثالثة عشر

### الفلسفة وترشيد الفعل السياسي. دور الفلسفة في تكوين المجتمع المدني

#### مقدمة

في ظل التحولات المعاصرة وتعقد الأزمات السياسية والاجتماعية، تبرز الحاجة إلى مساءلة طبيعة الفعل السياسي وحدوده، ومراجعة أسسه الأخلاقية والعقلانية. وضمن هذا السياق، تطرح الفلسفة نفسها كأداة نقدية تساعد على فهم مفاهيم كالعدالة، والسلطة، والحرية، كما تثير تساؤلات حول إمكان إسهامها في بناء وعي مدني قادر على تفعيل المشاركة وتنظيم الحياة العامة. ولا تهدف هذه التساؤلات إلى تقديم أجوبة نهائية، بل إلى فتح أفق للتفكير في دور الفلسفة في ترشيد الفعل السياسي، وتكوين مجتمع مدني واعٍ وفاعل.

#### أولاً: الفلسفة والفعل السياسي

##### 1- مفاهيم أساسية لفهم العلاقة بين الفلسفة والسياسة

يُعد الفعل السياسي من أبرز أشكال الوجود الإنساني في المجال العام، حيث يسعى الأفراد من خلاله إلى التأثير في السلطة أو المساهمة في صياغة القرار السياسي. لكن هذا الفعل لا يكون دائماً عقلانياً أو عادلاً، مما يستدعي مساءلته وتنظيمه وفق مبادئ واضحة، وهو ما يجعل من الترشيح السياسي ضرورة ملحة لضمان توازن العلاقة بين السلطة والمجتمع.

ويرتبط الترشيح السياسي بمفهوم "العقلنة" كما قدّمه ماكس فيبر، الذي رأى أن الحداثة فرضت على الأفعال البشرية، بما في ذلك الأفعال السياسية، أن تخضع لمبادئ التنظيم، والفعالية، والانضباط، ما يعني إخضاع القرار السياسي لحسابات عقلية دقيقة، بدلاً من الانفعال أو الولاء الشخصي<sup>1</sup>. لكن هذه "العقلنة"، التي تُقدّم في الغالب كعملية محايدة تهدف إلى تحقيق الفعالية والكفاءة، قد تُفضي إلى تهميش البعد الأخلاقي والإنساني في الحياة الاجتماعية والسياسية. فحين تُختزل السياسة والإدارة في منطق الأرقام والمعايير التقنية، يصبح خطر تجاهل القيم مثل العدالة والكرامة والحرية أمراً وارداً. ومن هنا يبرز تساؤل فلسفي عميق: هل يقتصر مفهوم الترشيح على الفعالية التقنية فقط؟ أم ينبغي أن يشمل أيضاً البعد القيمي والسياسي العادل، الذي يراعي الإنسان لا بوصفه وسيلة، بل كغاية؟ هذا التساؤل لا يُعبر فقط عن نقد للنهج التقني البحت، بل يدعو إلى تجاوز هذا الفهم الضيق نحو رؤية فلسفية نقدية أوسع، تُعيد الاعتبار للأبعاد الإنسانية والمعنوية في تنظيم الشأن العام وصياغة السياسات.

## 2- البعد النقدي للفلسفة:

لا تقف الفلسفة عند حدود التفسير أو التحليل، بل تتجاوزها لتكون أداة نقدية تكشف الأنساق السلطوية والأيدولوجية التي تحكم الواقع السياسي. وقد مثّلت الفلسفة النقدية عبر التاريخ سلطة مضادة تفضح التزييف وتعيد مساءلة المسلمات.

وضمن هذا السياق، يرى ميشيل فوكو أن وظيفة الفلسفة في العصر الحديث؛ لم تعد مرتبطة بتأسيس الحقيقة فقط، بل بفضح علاقات القوة التي تتخفى خلف ما يُقدّم على أنه "حقيقة". ومن هنا يبرز دور الفيلسوف في الكشف عن الخطابات المسيطرة وتفكيك بني الهيمنة، لا سيما في النظم السياسية الحديثة التي تتسلل فيها السلطة إلى تفاصيل الحياة اليومية<sup>2</sup>.

أما كارل ماركس، فقد ذهب إلى أن الفكر السياسي لا ينفصل عن المصالح الطبقيّة، وأن الأيدولوجيا تُنتج وعياً زائفاً يخدم القوى المهيمنة، ما يجعل من الفلسفة أداة للتحرر والتغيير لا مجرد تأمل نظري<sup>3</sup>. كذلك نجد لدى جون رولز محاولة فلسفية؛ لبناء العدالة على أسس عقلانية من خلال مفاهيم مثل "الجهل

<sup>1</sup> - ماكس فيبر، الاقتصاد والمجتمع، ترجمة فؤاد زكريا، دار المعرفة، بيروت، 1990، ص 24-25.

<sup>2</sup> - ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت 2001، ص 131، 132.

<sup>3</sup> - كارل ماركس، الأيدولوجيا الألمانية، ترجمة فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، 1986، ص 64.

الأصلي" و"الاختيار العقلاني"، وهي مفاهيم تهدف إلى تجاوز المصالح الفردية لصالح مبادئ عامة تُحافظ على الإنصاف في توزيع الحقوق والفرص<sup>1</sup>.

وتُظهر لنا هذه النماذج بوضوح؛ أن الفلسفة ليست مجالاً نظرياً مجرداً أو معزولاً عن الواقع السياسي بل هي في جوهرها أداة فكرية نقدية؛ تسهم في فهم هذا الواقع وتغييره. فالفلسفة، من خلال تحليل الخطابات السائدة وتفكيكها، تفضح ما قد يكون خفياً من مصالح، وهيمنة وراء الشعارات والسياسات وتُعيد مساءلة السلطة في مشروعها، وأساليب ممارستها، ومشروعيتها الأخلاقية. كما تسعى إلى تأسيس تصور بديل للسياسة، لا يقوم فقط على منطق القوة أو الفعالية التقنية، بل يبني على قيم عقلانية وأخلاقية تُعيد للسياسة بعدها الإنساني. فالفعل السياسي، حين يُنير بالعقل الفلسفي، يتحول من مجرد إدارة للواقع إلى سعي واعٍ نحو العدالة، والحرية، والكرامة. ومن هنا، تكون الفلسفة شرطاً ضرورياً لوعي سياسي متجدد قادر على تجاوز الأوهام الإيديولوجية والانغلاق، نحو أفقٍ أوسع من المسؤولية والتفكير النقدي.

## ثانياً- من الفعل السياسي إلى المجتمع المدني

### 1- مفهوم المجتمع المدني

يُطرح مفهوم المجتمع المدني في الفكر السياسي والفلسفي؛ بوصفه أحد الركائز الأساسية لبناء أنظمة ديمقراطية مستقرة. ولا يشير هذا المفهوم إلى مجرد مجموعة من المؤسسات والجمعيات، بل إلى فضاء عام مستقل نسبياً عن الدولة والسوق، يتيح للأفراد التعبير عن مصالحهم وتنظيمها والمشاركة في الشأن العام بعيداً عن الهيمنة السياسية أو الاقتصادية.

ويرجع أصل المفهوم إلى الفلسفة السياسية الحديثة، خاصة لدى جون لوك وتوماس هوبز، غير أن المفهوم أخذ طابعا أكثر تعقيدا مع مفكرين مثل هيغل، الذي ميّز بين الدولة والمجتمع المدني، معتبرا هذا الأخير ساحة للحرية الفردية وتنظيم المصالح<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - جون رولز، نظرية في العدالة، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص11 وما بعدها.

<sup>2</sup> - هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1987، ص212، 213.

أما في السياق المعاصر، فقد عاد المفهوم إلى الواجهة مع كتابات أنطونيو غرامشي، الذي رأى أن المجتمع المدني لا يقل أهمية عن الدولة في صراع الهيمنة، إذ تمثل مؤسساته وسيلة لصياغة "الرضا العام" ودعم السيطرة الأيديولوجية للطبقات الحاكمة<sup>1</sup>.

وبناءً على ذلك، يظهر المجتمع المدني كمجال للصراع الرمزي والسياسي، يتطلب وعياً نقدياً ومشاركة فعالة؛ حتى لا يتحول إلى مجرد امتداد خفي لسلطة الدولة أو مصالح السوق.

## 2- دور الفلسفة في تكوين الوعي المدني

إذا كان المجتمع المدني يمثل فضاءً للمشاركة الحرة والتنظيم المستقل، فإن قيامه على أسس متينة لا يتم من خلال الهياكل فقط، بل عبر الوعي المدني الذي يُنتج تلك الهياكل ويحافظ على استمراريتها. وهنا يظهر دور الفلسفة في بلورة هذا الوعي، من خلال تأسيسها لمفاهيم مثل الحرية، المسؤولية، العدالة والمصلحة العامة.

ويُظهر الفكر الفلسفي منذ العصر الكلاسيكي، وخاصة لدى أفلاطون وأرسطو، اهتماماً بصناعة المواطن الفاضل، القادر على التمييز بين الخير العام والمصلحة الخاصة، وعلى المشاركة في الحياة العامة من موقع المسؤولية الأخلاقية<sup>2</sup>.

وفي العصر الحديث، تتعزز هذه الفكرة مع فلاسفة مثل كانط، الذي اعتبر أن الاستقلال العقلي شرط أساسي لممارسة الحرية، وهو ما لا يتحقق إلا عبر تربية عقلانية تُنمّي في الإنسان ملكة الحكم الذاتي<sup>3</sup>.

تُسهم الفلسفة، إذن، في بناء الفرد القادر على الفعل الواعي والمسؤول في الفضاء المدني، وترسي مبادئ المشاركة النابعة من قناعة عقلية، لا من انفعال عابر أو تبعية أيديولوجية. وبذلك، تتحول المواطنة من وضع قانوني إلى ممارسة فعلية، مؤسسة على إدراك نقدي للشأن العام.

<sup>1</sup> - أنطونيو غرامشي، دفاتر السجن، ترجمة فواز طرابلسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002، ص 88.

<sup>2</sup> - أرسطو، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الأهرام، القاهرة، 1990، ص 45.

<sup>3</sup> - كانط، ما التنوير؟، ترجمة كمال الحاج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 17، 18.

## ثالثاً: الفلسفة وبناء مجتمع مدني ديمقراطي

### 1- الفلسفة كرافد لقيم الحوار والتعدد

إنّ الديمقراطية لا تقوم فقط على الإجراءات والمؤسسات، بل على ثقافة مدنية تؤمن بالحوار، واحترام التعدد والاعتراف بالآخر. في هذا السياق، تظهر الفلسفة بوصفها أحد المصادر الأساسية التي تغذي هذا النوع من الثقافة من خلال تربية العقل على الاختلاف، ونبذ الإقصاء، والانفتاح على الرأي المخالف ويشير يورغن هابرماس إلى أن التواصل العقلاني هو جوهر الفعل التواصلي في المجتمع الديمقراطي، حيث تقوم الشرعية السياسية على النقاش العام المفتوح، لا على الهيمنة أو العنف الرمزي<sup>1</sup>.

### 2- التسامح والاعتراف المتبادل: قيم مدنية أساس فلسفي

يرتبط بناء مجتمع مدني ديمقراطي بترسيخ قيمة التسامح، لا بوصفه مجرد تساهل أو تنازل، بل كقناعة عقلية بأن الاختلاف جزء بنيوي من الحياة الإنسانية. وقد تناول جون لوك هذا المفهوم مبكراً في رسالته في التسامح، معتبراً أن الإكراه في الدين، كما في الفكر، لا يؤدي إلى قناعة حقيقية، بل إلى النفاق أو التمرد<sup>2</sup>.

أما في السياق المعاصر، فقد وسّع أكسل هونيث مفهوم التسامح إلى "الاعتراف المتبادل"، بوصفه شرطاً لبناء علاقات اجتماعية قائمة على الاحترام والتقدير، لا على الهيمنة أو الإقصاء<sup>3</sup>، وانطلاقاً من ذلك تظهر الفلسفة ليس فقط كأداة لفهم العالم، بل كوسيلة لبناء علاقات مدنية قائمة على الاعتراف، والانتماء المشترك، والقبول بالاختلاف.

### 3- الديمقراطية كتربية فلسفية

الديمقراطية لا تتحقق بقرار سياسي فحسب، بل تحتاج إلى تربية فلسفية تُنمّي في الفرد القدرة على التفكير المستقل، والحوار، والنقد الذاتي. يرى جون ديوي أن المدرسة الديمقراطية ليست فقط مؤسسة تعليمية، بل هي نموذج مصغّر للمجتمع، حيث يتعلم الفرد العيش المشترك، وتحمل المسؤولية، واتخاذ القرار

<sup>1</sup> - يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، ترجمة جمال الجزيري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص 61-63.

<sup>2</sup> - جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، ص 28-30.

<sup>3</sup> - أكسل هونيث، الصراع من أجل الاعتراف، ترجمة حسن قبيسي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 42، 43.

الجماعي<sup>1</sup>. من هذا المنطلق، يصبح دور الفلسفة مركزياً في تربية المواطن، لا بوصفها مادة مدرسية، بل كمنهج في التفكير، وكممارسة يومية في البيت، والمدرسة، والمجال العام.  
خلاصة:

يتبين لنا من خلال العرض السابق، أن الفلسفة ليست بعيدة عن الواقع السياسي، بل إنها ضرورة لفهمه وتوجيهه. فترشيد الفعل السياسي يتطلب مساءلة مستمرة لمفاهيم السلطة، والعدالة، والمصلحة العامة، وهي مهمة فلسفية بامتياز. كما أن بناء مجتمع مدني ديمقراطي لا يتم دون وعي مدني قائم على الحوار والتعدد والاعتراف بالآخر، وهو وعي لا ينشأ إلا من خلال تربية فلسفية تُنمي التفكير النقدي والمسؤولية الجماعية. وهكذا، يصبح حضور الفلسفة في الحياة العامة شرطاً أساسياً لتحقيق فعل سياسي عقلائي وأخلاقي.



## المحاضرة الرابعة عشر

### الفلسفة والمواطنة: الفلسفة وحقوق الإنسان

تمهيد:

في ظل التغيرات العميقة التي يعرفها الواقع المعاصر، تتصاعد التوترات المرتبطة بموقع الفرد داخل المجتمع والدولة، وتتزايد الحاجة إلى مراجعة المفاهيم التي تحكم العلاقة بين الإنسان وحقوقه، وانتمائه ومشاركته في الحياة العامة. يأتي مفهوما المواطنة وحقوق الإنسان في صلب هذا المشهد، باعتبارهما من أبرز التعبيرات عن قيم الحداثة السياسية والأخلاقية. غير أن هذه المفاهيم لا تنفصل عن أطرها الفلسفية التي أسهمت في بلورتها ونقدها عبر العصور، مما يستدعي العودة إلى الفلسفة كأفق للتفكير في أسس هذه العلاقة ومآلاتها داخل عالم يتسم بالتعقيد والتداخل بين المرجعيات القانونية والسياسية والثقافية.

<sup>1</sup> - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة عبير عبد الرحمن، دار رؤية، القاهرة، 2009، ص 55-57.

أولاً: تأصيل فلسفي لمفهوم حقوق الإنسان

## 1- الجذور الفلسفية لفكرة "الكرامة الإنسانية"

بدأ مفهوم الكرامة الإنسانية في الفكر الفلسفي القديم، حيث اعتبر أفلاطون الإنسان كائناً يمتلك روحاً وعقلاً يمنحه قيمة خاصة، كما بحث في مفهوم العدالة التي ترتبط بتنظيم النفس والمجتمع<sup>1</sup>، وأرسطو بدوره ربط في الأخلاق النيقوماخية بين الفضيلة والكرامة، معتبراً أن الحياة الفاضلة هي جوهر وجود الإنسان<sup>2</sup>.

وفي الفلسفة الرواقية، تطوّر هذا المفهوم أكثر، حيث شدّد الفلاسفة الرواقيون مثل سينيكا وماركوس أوريليوس على أن الكرامة متأصلة في طبيعة الإنسان العاقل، بغض النظر عن مكانته الاجتماعية أو ظروفه وذلك انطلاقاً من قدرته على التفكير العقلاني والتحكم في الانفعالات. وقد رأوا أن العيش بانسجام مع الطبيعة والعقل هو أساس العيش بكرامة.

وفي الفلسفة الإسلامية، ظهر مفهوم الكرامة الإنسانية بوضوح في أعمال الفلاسفة والمفكرين المسلمين مثل الفارابي، وابن سينا، وابن رشد، الذين رأوا أن العقل هو ما يميز الإنسان عن غيره من الكائنات، ويمنحه مكانة خاصة. كما تأثروا بالنصوص القرآنية التي تؤكد على تكريم الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>3</sup>. فاعتبروا أن الكرامة متأصلة في طبيعة الإنسان، بوصفه مخلوقاً عاقلاً وخليفة في الأرض، وهي تشمل البعد الجسدي والروحي معاً. كذلك ربط الفلاسفة المسلمون بين الفضيلة والمعرفة، ورأوا أن الكرامة الحقيقية تتحقق من خلال الارتقاء العقلي والأخلاقي.

أما في الفلسفة المسيحية، فقد تم تعزيز هذا المفهوم من خلال الاعتقاد بأن الإنسان مخلوق على صورة الله، مما يمنحه قيمة وكرامة غير قابلة للمساس. وكان لكتابات القديس أوغسطين وتوما الأكويني دور مهم في ترسيخ فكرة أن للإنسان كرامة ذاتية تنبع من طبيعته الروحية والعقلانية.

<sup>1</sup> - أفلاطون، الجمهورية، ترجمة محمد عبد الله، دار المعرفة، القاهرة، 2005، ص 150.

<sup>2</sup> - أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ترجمة محمد عبد الله، دار المعرفة، القاهرة، 2004، ص 120.

<sup>3</sup> - سورة الإسراء، الآية 70.

وفي العصر الحديث، أعاد فلاسفة مثل إيمانويل كانط صياغة مفهوم الكرامة بشكل أكثر وضوحاً حيث أكد أن الكرامة الإنسانية لا تُقاس ولا تُستبدل، لأنها نابعة من كون الإنسان غاية في ذاته، لا وسيلة لأي غرض. ورأى أن احترام الكرامة يعني احترام حرية الفرد واستقلاله الأخلاقي.

## 2- من الفلسفة اليونانية إلى فلاسفة العقد الاجتماعي (لوك، روسو، كانط).

مع التنوير، تطور مفهوم حقوق الإنسان ليصبح ذا بعد سياسي وأخلاقي. فقد جادل جون لوك بأن للإنسان حقوقاً طبيعية هي الحياة والحرية والملكية، ويجب على الدولة حمايتها<sup>1</sup>. كما شدد جان جاك روسو على مفهوم السيادة الشعبية التي تمنح الأمة حق الحكم عبر موافقة الأفراد<sup>2</sup>، أما كانط فقد ركّز على الكرامة الإنسانية كقيمة مطلقة تفرض احترام الإنسان كغاية في ذاته<sup>3</sup>.

## 3- التحوّل من حقوق الرعايا إلى حقوق المواطنين

شهدت فلسفة السياسة تحولاً من اعتبار الإنسان مجرد رعية، إلى الاعتراف به كمواطن له حقوق وواجبات، وهذا يرتبط بالمشاركة السياسية والالتزام المدني، وهو ما يوضحه محمد عابد الجابري في كتابه "الحق والسلطة"، حيث يرى أن مفهوم المواطنة هو نتاج تاريخي يرتبط بالتحوّلات السياسية والاجتماعية<sup>4</sup>.

## 4- فلسفة الحق الطبيعي والحرية كقيمة مركزية (جون لوك - توماس بين)

تؤكد فلسفة الحق الطبيعي على أن الحرية والحقوق الأساسية ملك للفرد بطبيعته، كما بيّن جون لوك في رسالته، تؤكد فلسفة الحق الطبيعي على أن الحرية والحقوق الأساسية ليست منحة من سلطة أو نظام سياسي، بل هي حقوق فطرية يمتلكها الإنسان بمجرد كونه إنساناً، وهي جزء من طبيعته وعقله وكرامته<sup>5</sup>. ففي رسالته الشهيرة "في الحكم المدني"، بيّن جون لوك أن الإنسان يولد حرّاً، عاقلاً، ومتساوياً مع غيره في الحقوق الطبيعية، وأهمها: الحق في الحياة، والحرية، والملكية، ورأى أن هذه الحقوق سابقة على وجود الدولة أو أي عقد اجتماعي، ولا يمكن انتزاعها أو التنازل عنها لأنها نابعة من الطبيعة الإنسانية نفسها.

<sup>1</sup> - جون لوك، رسالتان في الحكومة المدنية، ترجمة عبد الله عبد السلام، دار الطليعة، بيروت، 1973، ص 45

<sup>2</sup> - جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عبد الله عبد السلام، دار الطليعة، بيروت، 1979، ص 83.

<sup>3</sup> - إيمانويل كانط، نقد العقل العملي، ترجمة محمد عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت، 1982، ص 11.

<sup>4</sup> - محمد عابد الجابري، الحق والسلطة، دار تونقال، الرباط، 1999، ص 67.

<sup>5</sup> - جون لوك، رسالتان في الحكومة المدنية، مرجع سابق، ص 49.

اعتبر لوك أن وظيفة الدولة أو السلطة السياسية ليست منح الحقوق، بل حمايتها، وإذا أخلت الدولة بهذا الواجب، فإن من حق الشعب تغييرها أو مقاومتها، لأن السيادة في الأصل تعود إلى الشعب وليس للحاكم. هذا التصور كان ثورياً في زمنه، وأسهم في بناء أسس الفكر الليبرالي الديمقراطي، كما ألهم لاحقاً ثورات كبرى مثل الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.

ويمثل مفهوم الحق الطبيعي عند لوك امتداداً لفكرة الكرامة الإنسانية، إذ يقوم على احترام استقلال الفرد وقدرته على اتخاذ قراراته بحرية، دون وصاية أو استعباد. فالكرامة هنا لا تنفصل عن الحرية، بل تتجلى من خلالها، إذ إن الإنسان لا يُكْرَم إلا عندما يُعترف له بحقه في أن يكون مسؤولاً عن نفسه، وعقله ومصيره.

وقد ترك هذا المفهوم أثراً عميقاً في الوثائق الحقوقية الكبرى، مثل إعلان الاستقلال الأمريكي والإعلان العالمي لحقوق الإنسان (1948)، حيث تكررت المفاهيم ذاتها: أن الحقوق غير قابلة للتصرف، وأن جميع البشر يولدون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق.

وقد أشار توماس بين إلى ضرورة حماية الحقوق السياسية والحريات الفردية لتحقيق العدالة<sup>1</sup>، ولعب دوراً محورياً في الدفاع عن حقوق الإنسان وحرياته، وخصوصاً في سياق الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية. في أعماله الشهيرة، وخاصة "حقوق الإنسان"، وقد شدد توماس بين على أن الكرامة الإنسانية؛ لا يمكن أن تتحقق إلا في ظل حماية الحقوق السياسية والحريات الفردية، معتبراً أن هذه الحقوق ليست هبة من الحكومات أو الملوك، بل حقوق طبيعية أصلية تنبع من كون الإنسان إنساناً.

وتمثل أفكار توماس بين امتداداً عملياً وإنسانياً لفلسفة الحق الطبيعي، حيث أكد أن الحقوق السياسية مثل حرية التعبير، وحرية الصحافة، والحق في الانتخاب والتمثيل، هي أدوات ضرورية لصون كرامة الإنسان ولتحقيق العدالة في بنية الدولة والمجتمع. وقد أثرت كتاباته بعمق في تطور الفكر الديمقراطي، وأسهمت في ترسيخ مفاهيم أساسية في النظم الدستورية الحديثة، خصوصاً في أمريكا وفرنسا، كما ألهمت لاحقاً الحركات المدافعة عن الحقوق المدنية والاجتماعية في مختلف أنحاء العالم.

<sup>1</sup> - توماس بين، حقوق الإنسان، ترجمة محمد حسن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 2005، ص 92.

ثانياً: الأبعاد النقدية للفلسفة في ترشيد الفعل السياسي

### 1- دور النقد الفلسفي في مساءلة السلطة

تُعد الفلسفة أداة مركزية في النقد والتحليل السياسي، حيث لا تقتصر على دراسة مفاهيم الوجود والمعرفة، بل تتعمق أيضاً في تفكيك البنى الفكرية والاجتماعية التي تُنتج السلطة وتشرعنها. ففي سياق تحليل السلطة، تتساءل الفلسفة عن أسس الشرعية، وحدود النفوذ، وأخلاقيات الحكم.

ويشير محمد عابد الجابري في كتابه "نقد العقل السياسي" إلى أن الفلسفة تقدم إطاراً لفهم السلطة ليس فقط كقوة مادية، بل كشبكة من العلاقات الاجتماعية التي تستدعي التدقيق والنقد<sup>1</sup>.

### 2- الفلسفة كأداة لتحليل القيم السياسية

تسهم الفلسفة في ترشيد الفعل السياسي، عبر إعادة النظر في القيم السياسية مثل العدالة، الحرية، والمساواة. يوضح محمد حسنين هيكل أن الفلسفة تساعد على إعادة بناء هذه القيم ضمن سياقات جديدة تتماشى مع متطلبات العصر، ما يجعلها حيوية في مواجهة التحديات السياسية والاجتماعية<sup>2</sup>، ومن منظور فلسفي، تعتبر العدالة إحدى الركائز الأساسية التي تتطلب تحليلاً نقدياً مستمراً لضمان تحقيقها في الممارسة السياسية<sup>3</sup>.

### 3- إسهام الفلسفة في تعزيز وعي المجتمع المدني

تشدد الفلسفة على أهمية الوعي النقدي لدى أفراد المجتمع المدني، بوصفه شرطاً ضرورياً لترشيد الفعل السياسي. ويبين علي حرب في كتابه "المجتمع المدني والدولة" أن الفلسفة تتيح للمجتمع المدني أدوات التفكير النقدي التي تمكنه من المشاركة الفعالة والمسؤولة في الحياة السياسية<sup>4</sup>، وهذا الوعي يجعل من المشاركة السياسية فعلاً واعياً، يراعي المبادئ الأخلاقية والاجتماعية التي تحكم الحياة العامة<sup>5</sup>.

1- محمد عابد الجابري، نقد العقل السياسي، دار التكوين، الرباط، 1984، ص32.

2- محمد حسنين هيكل، فلسفة السياسة، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص 88.

3- مصطفى حلمي، الفلسفة السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 2003، ص 45.

4- علي حرب، المجتمع المدني والدولة، دار المدى، دمشق، 2001، ص 101.

5- سعيد عبد الفتاح، فلسفة السياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ص 77.

وفي السياق ذاته، يعتبر ميشيل فوكو أن السلطة ليست مؤسسة قائمة بذاتها، بل هي منتشرة في كل مكان، وتتجلى في الخطابات والمعرفة والممارسات اليومية. ويؤكد في كتابه "المراقبة والمعاقبة" أن الفلسفة ضرورية لتفكيك الخطابات السلطوية وكشف الآليات الخفية التي تُعيد إنتاج الهيمنة، مثل التعليم، والسجن والطب، وغيرها من المؤسسات.

أما حنة آرندت، فتري أن الفلسفة السياسية يجب أن تميّز بين السلطة والعنف، مؤكدة في كتابها "في العنف" أن السلطة الحقيقية تنبع من توافق الجماعة وشرعية الفعل السياسي، بينما العنف يظهر عند غياب هذه الشرعية. وهي تدعو إلى نقد مستمر للبنى السياسية التي تنحرف عن الممارسة الديمقراطية، وترتكز على القهر بدل الحوار.

من جهته، يؤكد أنطونيو غرامشي على أهمية "المجتمع المدني" بوصفه ساحة لصراع الهيمنة بين الطبقات، ويرى أن الفلسفة قادرة على فضح الإيديولوجيات المهيمنة التي تسعى إلى تكريس سيطرة الطبقة الحاكمة عبر الثقافة والتعليم والدين. في دفاتر السجن، يدعو غرامشي إلى بناء "مثقفي عضوي" يُمارس النقد السياسي بوعي اجتماعي وتاريخي.

وإذا عدنا إلى جان جاك روسو، فإننا نجد أنفسنا أمام تصور فلسفي عميق أعاد صياغة مفهوم السلطة السياسية وشرعيتها من جذوره، من خلال مبدأه الشهير "العقد الاجتماعي". يرى روسو أن السلطة لا تكون مشروعة إلا إذا انبثقت من الإرادة العامة، أي من موافقة الأفراد الأحرار الذين يشكلون المجتمع السياسي، بحيث لا يكون الحاكم سيداً على الشعب، بل مَفوضاً لتنفيذ إرادته.

بهذا الطرح، رفض روسو فكرة السلطة المطلقة أو الموروثة، وعدّ أن السيادة الحقيقية للشعب، فهو وحده مصدر القوانين التي تنظم حياته. كما ربط بين الحرية والمساواة بوصفهما أساسين للحياة السياسية العادلة، فكل فرد، رغم خضوعه للقانون العام، يظل حرّاً لأنه يطيع نفسه بوصفه جزءاً من الإرادة العامة. لقد فتح روسو بهذا المفهوم آفاقاً جديدة أمام الفلسفة السياسية، إذ لم تعد الفلسفة مجرد تأمل نظري في الحكم، بل أداة نقدية لبناء نظم سياسية عادلة تقوم على الحرية، والمشاركة، والمسؤولية الجماعية. ومن هنا كان تأثيره بالغاً في الفكر الحديث، إذ مهّد لفكرة الديمقراطية الحديثة وحقوق الإنسان، وجعل من الفلسفة قوة فاعلة في توجيه التاريخ نحو العدالة والمساواة.

ثالثًا: إسهامات الفلسفة في بناء مجتمع مدني واعٍ وفاعل

### 1- الفلسفة كمنطلق لبناء الوعي المدني

تعتبر الفلسفة أساسًا في تشكيل الوعي المدني، حيث تقدم مفاهيم وقيم تُعين الأفراد على فهم دورهم في المجتمع وتعزيز مشاركتهم السياسية. حيث يوضح عبد الوهاب المسيري أن الفلسفة تسهم في بناء عقل نقدي قادر على تجاوز الجمود الفكري، مما يساعد في تنمية وعي سياسي متقدم داخل المجتمع المدني<sup>1</sup>. وفي هذا السياق، تُعد الفلسفة دعامة رئيسية في بناء ما يُعرف بـ"المواطن الواعي"، وهو الفرد الذي لا يُمارس السياسة بوصفها انفعالًا ظرفيًا، بل كموقف أخلاقي ومعرفي؛ قائم على الإدراك العميق للعلاقات الاجتماعية والسلطوية. فالفلسفة، كما يرى كارل بوبر، تُعلّمنا الشك المنهجي والنقد المستمر، وهو ما يجعلها أداة فعالة في مواجهة الأنظمة الشمولية أو الشعبوية، التي غالبًا ما تستثمر في الجهل وتبسيط الخطاب لتكريس سلطتها.

### 2- دور الفلسفة في تعزيز ثقافة الحوار والتسامح

تبرز الفلسفة كفضاء يتيح تأسيس قيم الحوار والتسامح، وهما عنصران أساسيان لترسيخ مجتمع مدني متماسك. يؤكد محمد أركون أن الفكر الفلسفي يشجع على احترام الآخر والتعددية الثقافية، ما يجعل من الحوار وسيلة فعالة لتقريب وجهات النظر وبناء التعايش السلمي<sup>2</sup>.

### 3- الفلسفة والمواطنة: بناء مسؤوليات وحقوق متوازنة

تلعب الفلسفة دورًا في توضيح العلاقة بين الحقوق والواجبات، مما يدعم فكرة المواطنة الفاعلة التي تتطلب التزامًا أخلاقيًا من الأفراد تجاه المجتمع والدولة. يرى محمد عابد الجابري أن الفلسفة تساعد في صياغة مفهوم مواطنة مبنية على التوازن بين الحرية والمسؤولية، ما يساهم في تعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الوهاب المسيري، العقل العربي: بين التراث والحداثة، دار الشروق، القاهرة، 1995، ص 152.

<sup>2</sup> - محمد أركون، الإسلام والعقل، دار الفارابي، بيروت، 2002، ص 98.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1994، ص 136.

## خلاصة:

تتجلى أهمية الفلسفة في تقديم أطر فكرية؛ تساعد على فهم طبيعة الفعل السياسي وتعميداته، من خلال التأصيل لمفاهيم حقوق الإنسان والمواطنة، وتحليل السلطة والقيم السياسية، إلى بناء وعي مدني قادر على المشاركة الفاعلة. الفلسفة لا تقتصر على التأمل النظري فحسب، بل تمتد لتكون أداة نقدية وفكرية ترشد الفعل السياسي نحو مبادئ العدالة والحرية والمسؤولية. كما تلعب دورًا جوهريًا في تكوين مجتمع مدني واعٍ، يعزز ثقافة الحوار والتسامح، ويؤسس لعلاقة متوازنة بين الحقوق والواجبات، مما يسهم في بناء مجتمعات أكثر استقرارًا وعدالة.



## المحاضرة الخامسة عشر

### رهانات الفلسفة في المجتمعات العربية والإسلامية

#### تمهيد:

في واقعنا المعاصر أسئلة حيوية حول وضع الفلسفة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، والتي تبدو أحيانًا هامشية أو حتى محل شك وانتقاد. لماذا تعاني الفلسفة من تهميش واسع في هذه المجتمعات؟ وكيف يمكننا فهم هذا الواقع في ضوء تاريخ غني بحضور فلاسفة كبار أثروا في الفكر الإنساني؟ إن هذا الوضع يستدعي إمعان النظر في "الرهانات" التي تواجه الفلسفة اليوم، أي التحديات التي تعيق تطويرها، والآفاق التي يمكن أن تفتحها أمام المجتمعات، خصوصًا في المجالات التربوية والمعرفية والسياسية والثقافية تأتي هذه المحاضرة لتستعرض العلاقة المعقدة بين الفلسفة والواقع العربي-الإسلامي الراهن، محاولةً فهم السياقات التي شكلت هذا الواقع، وتحديد الفرص المتاحة لتجديد الفكر الفلسفي، من أجل الإسهام في بناء مجتمع أكثر وعيًا وانفتاحًا.

## أولاً: الفلسفة في السياق العربي الإسلامي - حضور وتراجع

دخلت الفلسفة إلى العالم الإسلامي في العصر العباسي؛ عبر حركة ترجمة واسعة شملت نقل مؤلفات كبار الفلاسفة اليونانيين، مثل أفلاطون وأرسطو إلى العربية، حيث وجدت هذه الأفكار صدى واسعاً في أعمال فلاسفة عرب ومسلمين مثل الكندي، الفارابي، ابن سينا، وابن رشد. هؤلاء الفلاسفة مارسوا الاجتهاد العقلي والتأمل في قضايا الوجود، المعرفة، والدين، محاولين التوفيق بين العقل والنقل، مما أرسى أسساً متينة للفكر الفلسفي في الحضارة الإسلامية<sup>1</sup>.

ومع ذلك، لم يكن هذا الازدهار خاليًا من التوترات، إذ واجهت الفلسفة نقداً شديداً من التيارات الدينية المحافظة التي اعتبرتها تهديداً للعقيدة، ووسم الفلاسفة بالزندقة، لا سيما في نقد الغزالي لهم في كتابه "تهافت الفلاسفة"، حيث انتقد المنهج الفلسفي وأثره على الفكر الديني، مما ساهم في انكماش حركة الفكر الفلسفي لصالح الفكر النصي الديني<sup>2</sup>.

ومع مرور الزمن، وخصوصاً بعد سقوط الأندلس، وتراجع الدور الحضاري للعرب، شهدت الفلسفة تراجعاً ملحوظاً في الحياة الثقافية والتعليمية، إذ اقتصر حضورها على بعض المتون التقليدية في المناهج، بينما استمر إقصاؤها بسبب الهيمنة السياسية والفكرية التي حالت دون تطور العقل النقدي وانتشاره في المجتمعات العربية، ما يعكس وضعها الحالي على هامش الفكر العام<sup>3</sup>.

## ثانياً: التحديات المعاصرة أمام الفلسفة في المجتمعات العربية

تواجه الفلسفة في المجتمعات العربية اليوم مجموعة من التحديات التي تحد من دورها وتأثيرها في الحياة الفكرية والاجتماعية. من أبرز هذه التحديات انتشار الفكر التبسيطي والسلفي الذي يرفض الفكر النقدي ويعادي الاجتهاد الفلسفي، مما يقيد حرية التفكير ويجعل من الفلسفة مجالاً مغلقاً على نفسها<sup>4</sup>. إن الفلسفة في المجتمعات العربية تعاني من إقصاءٍ منهجي، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسياقات الثقافية والدينية والسياسية السائدة. فانتشار الفكر التبسيطي والسلفي، المناهض للاجتهاد العقلي والتفكير النقدي،

<sup>1</sup> - أفلاطون، الجمهورية، ترجمة محمد عبد الله دراز، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 34-36.

<sup>2</sup> - أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1972، ص 15 وما بعدها.

<sup>3</sup> - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص 110-115.

<sup>4</sup> - علي حرب، الفكر الديني والفلسفة في العالم العربي، دار المدى، دمشق، 2004، ص 78 وما بعدها.

يعكس بنية معرفية مغلقة ترى في التساؤل خطرًا، وفي الفلسفة تهديدًا لسلطة المعنى الواحد. في مثل هذا المناخ، تُصنّف الفلسفة إما ترفًا ذهنيًا لا طائل منه، أو خطابًا مشبوهًا يُزعزع "الثوابت".

هذا الإقصاء يُفضي إلى عزل الفلسفة عن المجال العمومي، ويجعلها عاجزة عن أداء وظيفتها التنويرية، التي تتمثل في بناء الوعي النقدي وتحرير العقل من الاستلاب. كما يتقاطع هذا الوضع مع ضعف الحريات الأكاديمية، وسياسات تعليمية تُقصي الفلسفة أو تُفرغها من محتواها النقدي، مما يقلّص من دورها في تكوين أجيال قادرة على الفهم والمساءلة.

وفي السياق ذاته، يُعدّ غياب النقاش الفلسفي في الفضاء العام مؤشرًا على أزمة أعمق، جمود ثقافي وخوف من الاختلاف، وهما عائقان جوهريان أمام بناء مجتمع عقلاني، وتعددي قادر على مساءلة تراثه وفهم حاضره والانفتاح على المستقبل.

كما تؤثر الأنظمة السياسية غير الديمقراطية سلبيًا على الحريات الفكرية، إذ تمارس رقابة مشددة على أي خطاب فلسفي يخالف الخط الرسمي، ما يجد من إمكانية تطوير الفلسفة ونشرها بين الناس<sup>1</sup>.

ويضاف إلى ذلك ضعف التعليم الفلسفي في المدارس والجامعات، حيث لا تحظى الفلسفة بالمكانة اللائقة ضمن المناهج، مما يؤدي إلى انعدام تكوين الفكر النقدي لدى الأجيال الجديدة، ويجعل الفلسفة بعيدة عن الواقع.

بالإضافة إلى غياب الحريات الأكاديمية وضعف الحوار العمومي حول القضايا الفلسفية، مما يجد من إمكانات النقاش البناء وتبادل الأفكار. كما أن النزعة التكنولوجية السائدة تركز على الجوانب التقنية والنفعية، فتغفل البعد القيمي والتأملي الذي يميز الفلسفة.

### ثالثًا: رهانات الفلسفة في السياق العربي والإسلامي

في ظل الأزمات الفكرية والسياسية؛ التي تعيشها المجتمعات العربية والإسلامية، تبرز رهانات متعددة للفلسفة، تعكس إمكاناتها في المساهمة في تجديد الوعي وبناء أفق حضاري جديد.

<sup>1</sup> - سعيد عبد الفتاح، الديمقراطية والفكر السياسي، دار الكتاب الجامعي، بيروت، 2010، ص 102-107.

## 1- الرهان المعرفي: نحو عقل نقدي و متحرر

يمثل الرهان المعرفي جوهر الفلسفة، إذ تهدف إلى تحرير العقل من القيود الإيديولوجية والانغلاق الثقافي، من خلال تجاوز الفكر التقليدي والانفتاح على التفكير النقدي. وقد أكد محمد عابد الجابري أن الحاجة إلى "عقل عربي جديد" يتطلب تفكيك البنية المعرفية التقليدية التي تقوم على التكرار والسلطة لصالح عقل تحليلي مركبي يسائل المسلمات<sup>1</sup>.

وتُعد الفلسفة أداة أساسية لتحرير الفكر وتطوير الوعي النقدي، إذ تسعى إلى تجاوز أشكال التفكير التقليدي التي تقوم على التكرار والخضوع للسلطة، سواء كانت معرفية أو اجتماعية. وبدلاً من قبول الأفكار الجاهزة، تدفع الفلسفة إلى مساءلة المسلمات، وبناء معرفة تقوم على التحليل والتركيب. ولا شك أن الانغلاق الثقافي وغياب التفكير الحر يؤديان إلى جمود العقل وعجزه عن التفاعل مع متغيرات العصر، بينما يسمح الانفتاح على الفكر النقدي بتجديد البنية المعرفية، مما يُمهّد لبناء عقل قادر على الإنتاج والإبداع في مختلف المجالات.

## 2- الرهان التربوي: الفلسفة أداة لتربية التفكير

يتعلق هذا الرهان بإدماج الفلسفة في النسيج التربوي، ليس فقط كمادة تعليمية، بل كمنهج في التفكير النقدي والتأمل الذاتي. فكما يشير إدغار موران، لا يمكن مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين إلا بعقل متدرّب على الربط والتحليل والتعقيد<sup>2</sup>.

ويتّصل هذا الرهان بالحاجة الملحة إلى تحويل الفلسفة من مجرد مادة دراسية إلى منهج في بناء الفكر النقدي والقدرة على التأمل الذاتي. فإدماجها في النظام التربوي لا ينبغي أن يقتصر على تلقين المفاهيم والمواقف، بل يجب أن يهدف إلى تدريب المتعلّمين على الربط بين المعارف، وفهم التعقيد، وتحليل القضايا بعمق. فالعقل الذي لا يتدرّب على التفكير المركّب يظلّ عاجزاً عن التعامل مع التحديات المتشابكة التي تطرحها تحولات العصر، سواء على المستوى العلمي أو القيمي أو المجتمعي. من هنا تبرز أهمية الفلسفة كأداة تكوينية تُسهم في إعداد مواطن قادر على الفهم والنقد واتخاذ الموقف، لا مجرد مستهلك للمعرفة.

<sup>1</sup> - محمد عابد الجابري، نحن والتراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980، ص 42 وما بعدها.

<sup>2</sup> - إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2001، ص 21-25.

### 3- الرهان السياسي: نحو مواطنة، حرية، وحقوق

يمكن للفلسفة أن تسهم في تأسيس وعي سياسي قائم على قيم المواطنة والمشاركة والحقوق، من خلال مساءلة أنماط السلطة وتفكيك الخطابات الشمولية. وكما يرى حسن حنفي، فإن الفلسفة النقدية قادرة على زعزعة الأسس الفكرية للاستبداد، وإرساء قيم الحرية والمسؤولية<sup>1</sup>.

تلعب الفلسفة دوراً أساسياً؛ في بناء وعي سياسي نقدي يُمكن الفرد والمجتمع من مواجهة تحديات السلطة والهيمنة. فهي تزود الإنسان بمجموعة من الأدوات الفكرية المنهجية التي تساعد على فهم آليات السلطة المركبة، واستكشاف الخطابات السائدة، التي تحاول تبرير الأنظمة السياسية القائمة، عبر هذه المعرفة، يصبح الفرد قادراً على مساءلة المؤسسات والأفكار السائدة، وتفكيك الأسس النظرية والعملية التي تقوم عليها الأنظمة الشمولية، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.

والفكر الفلسفي الواعي لا يكتفي بتشخيص الواقع وتسجيل الظواهر المجتمعية، بل يتجاوز ذلك إلى بناء تصور بديل ومشروع نهضوي يعزز من قيم المواطنة، ويكرس الحرية، ويشجع على المشاركة الفعالة في الحياة العامة. ومن هنا تنبع أهمية الفلسفة كأداة لتحرير العقول من القيود الفكرية والأنماط السلوكية التي تركز الخضوع والاستسلام للسلطة.

إن الفلسفة تُنمّي في الإنسان روح المساءلة الواعية، والرفض المسؤول لكل أشكال الاستبداد والقهر سواء أكانت ظاهرة بشكل مباشر أو مقنعة بأشكال ناعمة من السيطرة. هذا النموذج الفلسفي يعزز ثقافة سياسية تركز على الحقوق والواجبات المتبادلة، واحترام التعددية الفكرية والثقافية، وتحمل المسؤولية الفردية والاجتماعية في الفضاء العمومي، وتُعتبر هذه القيم حجر الأساس لأي مجتمع ديمقراطي صحي، حيث يصبح الحوار والتعددية مكونين لا غنى عنهما في بناء التوافق الاجتماعي والسياسي.

وبذلك، تتحول الفلسفة من مجرد نشاط فكري نظري إلى ضرورة حتمية وأساسية في بناء مجتمعات ديمقراطية وحرّة، لا ترقى فكرياً يقتصر على نخبة معينة، بل أداة حيوية تعمل على تمكين الشعوب من الانخراط الواعي والفعال في شؤونها السياسية والاجتماعية، وتحقيق التحول المجتمعي عبر الفكر الحر والمسؤول.

<sup>1</sup> - حسن حنفي، التراث والتجديد، الجزء الأول، دار التنوير، بيروت، 1981، ص 110 وما بعدها.

### 3- الرهان الديني: تجديد الخطاب انطلاقاً من العقل

الحاجة إلى تجديد الخطاب الديني تقتضي حواراً عقلانياً بين الفلسفة والإيمان، يتجاوز التوترات التقليدية بين الطرفين. يرى محمد أركون أن الفلسفة الإسلامية مطالبة اليوم بالعودة إلى فضاء العقل التاريخي والتأويلي لفهم النصوص في سياقها، لا تجميدها في قوالب جاهزة<sup>1</sup>.

إن الحاجة إلى تجديد الخطاب الديني اليوم، هي من أبرز التحديات الفكرية، وتتطلب إرساء حوار عقلاني بين الفلسفة والإيمان، يقوم على التفاهم لا التصادم، وعلى التحليل لا التسليم الأعمى. فبدل الاستمرار في التوتر التقليدي بين العقل والنص، يُصبح من الضروري إعادة قراءة التراث الديني بمنهج تأويلي تاريخي، يراعي سياقات الإنتاج الثقافي والمعرفي للنصوص، ويحررها من القوالب الجامدة التي تحول دون فهمها العميق والمتجدد. هذا المسار يفتح المجال أمام تدين عقلاني متنور، يُصالح بين العقل والإيمان، ويُعيد للدين دوره الروحي والإنساني، بعيداً عن التوظيف الإيديولوجي أو السلطوي. والفلسفة، في هذا السياق، لا تعادي الدين، بل تسهم في تفعيله وتنقيته من شوائب الجمود والانغلاق، مما يتيح بناء خطاب ديني يستجيب لأسئلة العصر وتحولاته.

### 4- الرهان الثقافي: الانفتاح دون استلاب

إن الفلسفة قادرة على بناء خطاب ثقافي؛ منفتح على الكونية دون الانسلاخ عن الخصوصية. وهنا يؤكد عبد الله العروي أن المثقف العربي مطالب بمزاوجة الأصالة بالحدثة، عبر عقلانية فلسفية توازن بين التحديث والهوية<sup>2</sup>.

إن الفلسفة تملك القدرة على بناء خطاب ثقافي؛ يتجاوز الانغلاق والهويات الضيقة، من خلال ما توفره من أدوات عقلية؛ تُتيح الانفتاح على الكوني دون التفريط في الخصوصي. فهي تسعى إلى تحقيق توازن دقيق بين الانتماء إلى السياق الثقافي الخاص والانفتاح على مكتسبات الحدثة الإنسانية، مما يُمكن من إنتاج فكر متجدد في تاريخه، لكنه غير منغلق على ذاته. في هذا الإطار، يُصبح المثقف مطالباً بتجاوز ثنائية الأصالة والحدثة، لا برفض أحدهما لصالح الآخر، بل بمزاوجتهما ضمن رؤية عقلانية فلسفية، تُحافظ

<sup>1</sup> - محمد أركون، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 1990، ص 86، وما بعدها.

<sup>2</sup> - عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 73-76.

على الهوية دون أن تُحوّلها إلى قيد، وتُمارس التحديث دون أن يُفقد المجتمع جذوره. وهكذا تُسهم الفلسفة في صياغة مشروع ثقافي قادر على التفاعل مع العصر دون التنازل عن الذات.

#### رابعاً: آفاق تطوير الفكر الفلسفي في المجتمعات العربية والإسلامية

رغم التحديات العميقة التي تواجه الفلسفة في السياق العربي والإسلامي، إلا أن هناك آفاقاً واعدة لإعادة بناء حضورها وتفعيل دورها، شريطة توفر إرادة ثقافية ومؤسسية تدعم هذا المسار.

#### 1- إصلاح التعليم وتعميم تدريس الفلسفة

يشكل إصلاح النظام التربوي مدخلاً أساسياً لتأهيل العقل النقدي. لا يتعلق الأمر بمجرد إدراج مادة الفلسفة في المناهج، بل بإعادة النظر في طرق تدريسها، وتحويلها من "مادة للحفظ" إلى "منهج للتفكير". يشير المهدي المنجرة إلى أن مستقبل العالم العربي مرتبط بقدرته على إنتاج المعرفة، وأن غياب الفلسفة في التعليم يضعف هذه الإمكانية منذ المراحل الأولى<sup>1</sup>.

فإصلاح النظام التربوي يُعد من أهم المداخل لبناء عقل نقدي ومستنير، إذ لا يكفي إدراج مادة الفلسفة ضمن المناهج، بل يجب إعادة النظر في منهجية تدريسها، بحيث تتحول من مادة قائمة على التلقين والحفظ، إلى فضاء للتفكير الحر والحوار العقلاني. يُؤكّد المهدي المنجرة أن مستقبل العالم العربي يتوقف على مدى قدرته على إنتاج المعرفة، وهو ما لا يمكن تحقيقه في ظل نظام تعليمي يُقصي الفلسفة أو يختزلها في أنشطة شكلية<sup>2</sup> كما نبّه طه عبد الرحمن إلى أن غياب الانفتاح المعرفي والعزلة الفكرية يُفضي إلى اجترار مفاهيم ماضية بدل التعامل مع أسئلة الحاضر، وهو ما يضعف قدرة الفكر العربي على التجدد والمواكبة<sup>3</sup>.

إن إصلاح النظام التربوي يشكّل مدخلاً أساسياً لبناء عقل نقدي ومستنير، ولا يقتصر هذا الإصلاح على إدراج مادة الفلسفة في المناهج، بل يستدعي إعادة النظر في طرق تدريسها، وتحويلها من مادة تعتمد على الحفظ والتلقين إلى فضاء للتفكير الحر والحوار العقلاني. فالنظام التعليمي الذي يُقصي الفلسفة أو يختزلها في أنشطة شكلية يُضعف قدرة المتعلم على إنتاج المعرفة، ويحول دون مواكبة قضايا العصر. كما أن

<sup>1</sup> - المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص 102-105.

<sup>2</sup> - المهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، الدار البيضاء: منشورات الزمن، 2004، ص. 88، 89.

<sup>3</sup> - طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مرجع سابق، ص 52-55.

غياب الانفتاح المعرفي والانغلاق على مفاهيم ماضية يكرّس العجز عن التجديد والتفاعل مع متغيرات الحاضر.

## 2- دعم البحث العلمي الفلسفي والترجمة

يتطلب تطوير الفكر الفلسفي دعمًا فعليًا للبحث العلمي في الجامعات ومراكز الدراسات، إضافة إلى الاهتمام بترجمة الإنتاج الفلسفية العالمية الحديثة. لقد نبه طه عبد الرحمن إلى أن العزلة الفكرية عن العالم تجعل الفكر العربي يعيد إنتاج مفاهيم قديمة بدل أن يواجه أسئلته الراهنة<sup>1</sup>.

إن تطوير الفكر الفلسفي في السياق العربي لا يمكن أن يتم في فراغ، بل يستلزم بنية معرفية ومؤسسية تُمكنه من التجدد والابتكار. من أبرز شروط هذا التطوير: دعم البحث العلمي الجاد في الجامعات ومراكز الدراسات، بما يضمن تفرغ الباحثين، وتوفير بيئة علمية تتيح الحوار الحر والنقد المسؤول. كما أن الترجمة، لا سيما لتراث الفلسفة المعاصرة والإنتاجات الفلسفية العالمية الحديثة، تُعدّ ضرورة قصوى لكسر الجمود الفكري والانفتاح على الأسئلة الكونية التي تشغل الفلسفة اليوم.

وقد نبّه طه عبد الرحمن، وهو من أبرز المفكرين في العالم العربي، إلى أن العزلة الفكرية عن العالم تُنتج ما يمكن تسميته بـ"الاجترار الثقافي"، حيث يعاد إنتاج مفاهيم قديمة لم تعد قادرة على استيعاب الواقع الراهن أو مساءلته بجدية. فبدل أن ينخرط الفكر العربي في مساءلة أسئلته المعاصرة، يظل أسير دوائر مغلقة من التكرار، نتيجة الانفصال عن تطورات الفلسفة العالمية، سواء في قضايا اللغة، أو الأخلاق، أو التقنية أو السياسة.

ومن هنا، فإن كسر هذه العزلة يتطلب مشروعاً متكاملًا، يتأسس على دعم مؤسسي للبحث، وانفتاح على التجارب الفكرية العالمية، دون الذوبان فيها، بل عبر حوار نقدي يُعيد توليد المفاهيم بما يناسب السياق العربي الراهن.

<sup>1</sup> - طه عبد الرحمن، سؤال العمل، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001، ص 60-63.

### 3- تشجيع الحوار بين الفلسفة والدين والعالم

يعد الانفتاح على الفكر الديني من جهة، وعلى الفكر العالمي من جهة أخرى، ركيزة لبناء فلسفة حيوية، تتجاوز النزاعات المغلقة وتنتج معرفة مركبة. يؤكد محمد علال الفاسي على ضرورة تطوير ثقافة حوارية، تسمح بتفاعل بناء بين العلماء والفلاسفة، وبين الداخل والخارج الثقافي<sup>1</sup>.

إن الانفتاح على الفكر الديني من جهة، وعلى الفكر العالمي من جهة أخرى، يُعدّ ضرورة لا غنى عنها لبناء فلسفة معاصرة حيوية، قادرة على مواكبة تعقيد الواقع وتحدياته. فالفكر الفلسفي الذي ينغلق على ذاته، سواء في قضايا الهوية أو في تمجيد الخصوصية، يفقد قدرته على إنتاج معرفة حيّة ومؤثرة، ويتحول إلى تكرارٍ مملٍ أو إلى اجترارٍ لمفاهيم فقدت صلاحيتها التاريخية.

من هذا المنطلق، تبرز أهمية ما يدعو إليه محمد علال الفاسي من ضرورة تطوير ثقافة حوارية، تقوم على الإنصات والتفاعل البناء بين العلماء والفلاسفة، وبين ما يُصطلح عليه بـ"الداخل" و"الخارج" الثقافي. فالحوار ليس ترفاً ثقافياً، بل هو شرط لتجاوز الثنائيات الجامدة: التقليد والتحديث، الذات والآخر، المحلي والعالمي. إنه وسيلة لبلورة فكر مركّب، يملك القدرة على مساءلة موروثه الديني دون قطيعة، والانفتاح على الفكر العالمي دون ذوبان.

وهكذا، تصبح الفلسفة مساحة لقاء لا صراع، وجسراً للتفاهم لا للحروب الأيديولوجية. فلسفة تنتمي إلى زمنها، لكنها لا تفقد جذورها، وتتجاوز مع الآخر دون أن تفقد ذاتها.

### 4- استثمار الإعلام والرقمي في نشر الفكر الفلسفي

في ظل التطور الهائل لوسائل الإعلام والفضاء الرقمي، تبرز الحاجة إلى استخدام هذه الوسائط لنشر الفكر الفلسفي وتبسيطه دون تسطيحه. فكما يقول ياسين الحاج صالح، أصبح من الضروري أن يخرج الفلاسفة من النخبة المغلقة نحو الجمهور الأوسع، عبر مقالات مرئية، ومدونات، وحوارات نقدية<sup>2</sup>.

فمع التطور المتسارع في تقنيات الاتصال وازدياد انتشار الفضاء الرقمي، أصبح من الضروري للفلاسفة إعادة النظر في طرق إيصال الفكر الفلسفي إلى الجمهور. لم تعد الوسائل التقليدية، مثل الكتب والمقالات الأكاديمية، كافية لتلبية حاجات المجتمع الحديث الذي يعيش في بيئة إعلامية متعددة الأبعاد وسريعة

<sup>1</sup> - محمد علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، دار الكتاب، الرباط، 1971، ص 142-145.

<sup>2</sup> - ياسين الحاج صالح، الثورة المستحيلة، المركز العربي للأبحاث، بيروت، 2012، ص 201-205.

الإيقاع. لذلك، يُفرض على الفلاسفة الانخراط بفاعلية في المنصات الرقمية عبر مقالات مرئية، ومدونات، وحوارات نقدية تفاعلية تُمكن الجمهور من الوصول إلى الأفكار الفلسفية المعقدة بأسلوب مبسط لكنه يحافظ على عمقها وراثتها، دون أن يُسقطها في فخ التسطيح أو التبسيط المخل.

وهذه الخطوة ليست فقط ضرورة للتكيف مع العصر الرقمي، بل أيضًا لتوسيع دائرة المشاركة وإخراج الفلسفة من إطار النخبة الضيق إلى فضاء عام ديناميكي يتسم بالتفاعل والحوار المستمر. فكما يشير ياسين الحاج صالح، إن الفلاسفة مطالبون اليوم بأن يكونوا جزءًا من هذا الحراك الثقافي المفتوح، حيث يمكن للفلسفة أن تلعب دورًا فاعلاً في تنمية الوعي النقدي وتعزيز الثقافة العامة. إعادة صياغة الفلسفة بأسلوب يتناسب مع هذه البيئة الرقمية لا تعني تفرغها من محتواها أو تخفيف حدتها، بل تتيح لها فرصة استعادة مكانتها كأداة فعالة لفهم العالم والتأمل في قضاياها المعقدة.

#### خلاصة:

يتبين من خلال تتبع مسار الفلسفة في السياق العربي والإسلامي، أن حضورها كان يومًا ما فاعلاً ومثمرًا، قبل أن يتراجع تحت ضغط عوامل فكرية، دينية، وسياسية. هذا التراجع لم يكن مجرد انحسار أكاديمي، بل كان تعبيرًا عن غياب مشروع ثقافي يؤمن بقيمة التفكير النقدي في بناء الإنسان والمجتمع ورغم التحديات التي لا تزال قائمة - من إقصاء مؤسساتي، ونفور شعبي، إلى هيمنة أنماط فكرية تقليدية - فإن الفلسفة ما تزال تملك رهانات حيوية: معرفية وتربوية، دينية وثقافية، سياسية وإنسانية. وهي رهانات لا تُختزل في النخبة الأكاديمية، بل تمتد إلى ضرورة بناء عقل جماعي ناقد، منفتح، ومسؤول.

إن تطوير الفكر الفلسفي في مجتمعاتنا لا يعني استنساخ نماذج غربية، بل العمل على بلورة خطاب فلسفي ينطلق من الأسئلة الحارقة للواقع، ويتفاعل مع تراثه ومحيطه الكوني. عندها فقط، يمكن أن تستعيد الفلسفة دورها كمجال حيوي لإعادة التفكير في الذات، والمجتمع، والسلطة، والمعنى.



## خاتمة:

إن استعراض محتوى هذه المطبوعة يقودنا إلى إدراك أن الفلسفة، وعلى الرغم من تغيّر السياقات التاريخية والثقافية، ما تزال تحتفظ بدورها المركزي في حياة الإنسان، لا فقط بوصفها نشاطاً فكرياً نجوياً بل باعتبارها ممارسة عقلانية نقدية تُمكن من بناء الذات الحرة، الواعية، والمفكّرة.

لقد أبرزنا، انطلاقاً من الدلالة الاشتقاقية لكلمة "فلسفة"، كيف أن محبة الحكمة لم تكن هدفاً نظرياً مجرداً، بل كانت، ومنذ -البدايات استجابة وجودية لسؤال المعنى، ورغبة إنسانية أصيلة في تجاوز الجهل والانفتاح على الحقيقة. ومن خلال تتبّع خصائص التفكير الفلسفي، ومباحثه الكبرى، تبين لنا أن الفلسفة ليست مجرد معرفة تجريدية، بل هي بنية عقلية، وممارسة حجائية تولي أهمية للسؤال أكثر من الجواب وللمسار النقدي أكثر من النتائج الجاهزة.

كما شكل تجاوز التفكير الأسطوري، لحظة تأسيسية في نشأة العقل الفلسفي، إذ انتقل الإنسان من تبرير الظواهر عبر الحكاية إلى مساءلتها بالعقل والحجة، ومن عالم الخرافة إلى أفق التأمل العقلاني المنهجي وقد تركز هذا التحول مع تطور الفلسفة إلى تفكير منهجي، جعل من العقل سلطة مرجعية لتحليل الوجود والإنسان والمعرفة، وهو ما تجلّى في علاقتها بالحقيقة العلمية، والدينية، والسياسية، بل وحتى التربوية وقد بيّنا كذلك أن الفلسفة ليست في خصومة مع الدين أو العلم، بل في حوار دائم معهما، تسعى من خلاله إلى تعقيل المواقف، وترشيد التصورات، والتأسيس للعيش المشترك. فالحقيقة الفلسفية لا تنفي الحقيقة الدينية، بل تكملها من خلال مساءلتها، وفهمها في سياقها الرمزي والمعنوي. كما أن العلاقة التفاعلية بين الفلسفة والعلم تُظهر تكاملاً بنيوياً، يعكس تطوراً في فهم العالم: فالعلم يقدم المعطى، والفلسفة تمنحه المعنى والاتجاه.

أما على المستوى الاجتماعي والسياسي، فإن للفلسفة وظيفة تتجاوز التنظير لتلامس قضايا المواطنة وحقوق الإنسان، والمجتمع المدني، وذلك من خلال المساهمة في بناء الوعي السياسي النقدي، وترسيخ قيم الحوار والتسامح والعدالة والحريّة. وفي هذا السياق، يتجلّى دور الفلسفة كقوة ناعمة في ترشيد السلوك السياسي، ومواجهة الانغلاق الإيديولوجي، والتطرف الديني أو القومي.

وفي ارتباطها بالتربية، تسهم الفلسفة في تشكيل العقل النقدي لدى المتعلم، وتحصينه ضد الاستلاب الفكري، كما تؤهله للتفكير الذاتي، وتحمل المسؤولية، والمشاركة في الشأن العام. ومن هنا، فإن إدراج

الفلسفة في المنظومة التربوية لا يجب أن يُنظر إليه كترف معرفي، بل كضرورة لبناء الإنسان القادر على فهم ذاته ومجتمعه والعالم.

أما في السياق العربي والإسلامي، فتبقى الفلسفة أمام رهانات حضارية معقدة، تتعلق بتجاوز ثنائية الأصالة والمعاصرة، والانخراط الواعي في الحداثة دون القطيعة مع الخصوصية الثقافية. وهي رهانات لا يمكن كسبها إلا من خلال إعادة الاعتبار للفعل الفلسفي، باعتباره قوة تحريرية، تُسهم في تفكيك أنماط التفكير التقليدي، وتؤسس لنهضة فكرية جديدة قوامها العقل، والكرامة، والعدالة.

وفي ضوء كل ما سبق، يمكن القول إن الفلسفة، رغم ما تواجهه من تهميش أو اختزال في بعض السياقات، تظل ضرورة إنسانية، ومعرفية، وأخلاقية. فهي أداة لفهم الذات والعالم، ومجال لإعادة طرح الأسئلة الكبرى، ومساحة لتحرير الفكر من التبعية والجمود. إنها دعوة دائمة إلى التفكير، لا من أجل الجدل العقيم، بل من أجل الفهم العميق والبناء المشترك لعالم أكثر إنسانية.

- قائمة المراجع:

- أولاً: الكتب

- 1- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
- 2- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1979م.
- 2- أرسطو، الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار المعارف، القاهرة، 1959
- 3- أرسطو، الأخلاق النيقوماخية، ترجمة محمد عبد الله، دار المعرفة، القاهرة، 2004.
- 4- أرسطو، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، دار الأهرام، القاهرة، 1990.
- 5- أرسطو، فلسفة الطبيعة، دار الفكر، بيروت، 1998.
- 6- أرفلد كولبة، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، عالم الأدب للترجمة والنشر، بيروت، ط1، 2011
- 7- إيمانويل كانط، نقد العقل العملي، ترجمة محمد عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت، 1982.
- 8- إيمانويل كانط، ما هو التنوير؟، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2005.

- 9- إدغار موران، منهجية الفكر المركب، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2008
- 10- إدغار موران، تربية المستقبل، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، 2001.
- 11- أرنست كاسيرر، اللغة والأسطورة، ترجمة سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة، 2009.
- 12- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
- 13- أفلاطون، الجمهورية، ترجمة محمد عبد الله، دار المعرفة، القاهرة، 2005.
- 14- أفلاطون، الدفاع عن سقراط، ترجمة عزت قرني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1999.
- 15- أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، 1972.
- 16- أبو المعالي الجويني، البرهان في أصول الفقه، تحقيق عبد العظيم الديب، دار الوفاء، مصر، ط2، 1418هـ.
- 17- أوغستينوس، مدينة الله، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1985.
- 18- أليكس روزنبرغ، فلسفة العلم، ترجمة سعيد الغانمي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.
- 19- أنطونيو غرامشي، دفاتر السجن، ترجمة فواز طرابلسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
- 20- آينشتاين، النسبية: النظرية الخاصة والعامة، دار الحرف، بيروت، 2000.
- 21- أير ألفرد جولز، اللغة، الحقيقة والمنطق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، 1986
- 22- برتراند راسل، مشكلات الفلسفة، مكتبة أنوار التوحيد، ط1، 2016.
- 23- بوبر كارل، منطق البحث العلمي، ترجمة محمد البغدادي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006.
- 24- توماس بين، حقوق الإنسان، ترجمة محمد حسن، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 2005.
- 25- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
- 26- توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ج1، ترجمة جوزف زرعتيني، المكتبة البولسية، بيروت، 1973.
- 27- توما الأكويني، اللاهوت العقلي، دار المعارف، القاهرة، 1992.
- 28- جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف، ترجمة عادل عقل، دار الطليعة، بيروت، 1994.
- 29- جان بيير فرنان، أصول الفكر اليوناني، ترجمة كمال اليازجي، دار الطليعة، بيروت، 1982.

- 30- جان بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة عبد الله العروي، دار الطليعة، بيروت، 1983.
- 31- جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عبد الله عبد السلام، دار الطليعة، بيروت، 1979
- 32- جان جاك روسو، خطاب في أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983
- 33- حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير، بيروت، 1981.
- 34- حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997.
- 35- حسن حنفي، الدين والثورة في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1989
- 36- خلق المسلم، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، القاهرة، 1993
- 37- دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2007.
- 38- ديفيد أور، التربية والبيئة: تعلم البقاء، ترجمة أحمد عبد الحليم عطية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2009.
- 39- ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة جميل صليبا، مكتبة النهضة، بيروت، 1968.
- 40- راسيغليا فرانثيسكا، ما بعد الإنسانية: الفلسفة في عصر التقنية الحيوية والذكاء الاصطناعي، ترجمة نادر كاظم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2021.
- 41- رنيه ديكارت، مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل، ترجمة جميل صليبا، موفم للنشر، الجزائر، 2007.
- 42- رينيه ديكارت، مقال في المنهج، دار الطليعة، بيروت، 1963.
- 43- سعيد عبد الفتاح، فلسفة السياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
- 44- سعيد عبد الفتاح، الديمقراطية والفكر السياسي، دار الكتاب الجامعي، بيروت، 2010.
- 45- سعيد مراد، العقل الفلسفي في الإسلام، عين للدراسات، مصر، 2000.
- 46- ستيفن هوكينغ، التصميم العظيم، ترجمة محمد فتحي خضر، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2012.
- 47- شهاب الدين الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- 48- طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
- 49- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تحقيق ألبيير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، 1986.

- 50- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، دار علماء الدين، دمشق، 2001.
- 51- فراس السواح، جلعامش ملحمة الرافدين الخالدة، دار التكوين، دمشق، 2016.
- 52- فرنسيس بيكون، الأورغانون الجديد، دار المعارف، القاهرة، 1995.
- 53- فخر الدين الرازي، المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987.
- 54- فتحي التريكي، الفلسفة الشريفة، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.
- 55- فرانسيس بيكون، الأورغانون الجديد، دار المعارف، القاهرة، 1995.
- 56- فريري، تربية المفهورين، ترجمة فؤاد حسن، دار القلم، بيروت، 1980.
- 57- كارل ماركس، الإيديولوجيا الألمانية، ترجمة فالح عبد الجبار، دار الفارابي، بيروت، 1986.
- 58- كارل بوبر، منطق البحث العلمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006.
- 59- كلود ليفي ستراوس، البنى الأولية للقرابة، ترجمة جورج طرايشي، دار الطليعة، بيروت، 1983.
- 60- كانط، ما التنوير؟، ترجمة كمال الحاج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- 61- كولية، أزدل، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة أبو العلا عفيفي، بيروت، 2011.
- 62- ماكس فيبر، الاقتصاد والمجتمع، ترجمة فؤاد زكريا، دار المعرفة، بيروت، 1990.
- 63- محمد أركون، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، 1990.
- 64- محمد أركون، الإسلام والعقل، دار الفارابي، بيروت، 2002.
- 65- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1997.
- 66- محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
- 67- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986.
- 68- محمد عابد الجابري، نقد العقل السياسي، دار التكوين، الرباط، 1984.
- 69- محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991.
- 70- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، دار الطليعة، بيروت، 1994.
- 71- محمد عابد الجابري، نقد العقل الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1983.
- 72- محمد عابد الجابري، نحن والتراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980.

- 73- محمد عابد الجابري، الحق والسلطة، دار توبقال، الرباط، 1999.
- 74- محمد الغزالي، خلق المسلم، دار نهضة مصر، القاهرة، 1993.
- 75- محمد حسنين هيكل، فلسفة السياسة، دار الشروق، القاهرة، 1998.
- 76- مصطفى حلمي، الفلسفة السياسية، دار النهضة العربية، بيروت، 2003.
- 77- مهدي المنجرة، الإهانة في عهد الميغا إمبريالية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004.
- 78- ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002.
- 79- ميشيل فوكو، المعرفة والسلطة، ترجمة حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001.
- 80- ميشيل فوكو، أركيولوجيا المعرفة، دار التنوير، بيروت، 1985.
- 81- ميشيل فوكو، الخطاب والسلطة، ترجمة سعيد عبد الفتاح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- 82- هايدغر، السؤال عن التقنية، ترجمة عبد الغفار مكاوي، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- 83- هايزنبرغ، الجزء والكل، ترجمة فتحي حسن ملكاوي، المنظمة العربية للترجمة، 2013.
- 84- هيغل، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 1987.
- 85- يمني طريف الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.
- 86- يمني طريف الخولي، الفلسفة والعلم في العصر الحديث، دار النهضة العربية، القاهرة، 2005.
- 87- يورغن هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، ترجمة جمال الجزيري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

88- ياسين الحاج صالح، الثورة المستحيلة، المركز العربي للأبحاث، بيروت، 2012.

#### - ثانيا: المعاجم والقواميس

- 1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.
- 2- مجد الدين الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.
- 3- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1998.
- 5- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.

6- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985م.

- ثالثا: الموسوعات

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984.

رابعا: الويبوغرافيا

-Juan Pablo Espínola, Etymology of the word "Philosophy", Translated by: Marilina Gary  
<https://humanidades.com/en/etymology-of-the-word-philosophy/?utm>. .

-<https://arab-ency.com.sy/details/4990?utm>

-Almaany Arab Ency.com.sy.

-medieval philosophy, [https://www.britannica.com/topic/medieval-](https://www.britannica.com/topic/medieval-philosophy?utm)

[philosophy?utm](https://www.britannica.com/topic/medieval-philosophy?utm),